جامعة محمد خيضر بسكرة
العلوم الإنسانية والاجتماعية
العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم : أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
بن بلعباس أشواق

يوم : 20/06/2022

الشك المنهجي في الفكر الغربي المعاصر
"رونيه ديكارت أنموذجا "

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة الجامعة	الصفة
العضو 2	الرتبة الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2023/2022

كـلـمـة شـكـر وتـقـديـر

إلهي لايطيب لنا النهار الى بطاعتك وعبادتك، ولا الليل إلّا بشكرك
على نعمك، ولا اللحظات الاّ بذكرك، ولا الاخرة الاّ بعفوك ومغفرتك

الحمد لله حمدا كثيرا ...

أتقدم بالشكر الجزيل الى أستاذي الكريم الذي لم يبخل عليا

من علمه وفضله ونصائحه الدكتور حمدي لكحل ....

إلى كافة زملائي وزميلاتي في الدراسة، طلبة الفلسفة العامة ...

إلى جميع أساتذة الفلسفة الكرام خاصة،

وأساتذة جامعة محمد خيضر بسكرة عامة على مجهودهم في تحصيل العلم.

إ هـــــــــــــــــــــــــــــد ا ء

بعد شكر الله على وصولي الى ما طمحت بلوغه، وبعد صلاتي على خير الانام الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة و السلام، أقدم ثمرة هذا البحث الى أعز سند كان لي طيلت مشواري الدراسي سواء الاطوار التعليمية التربوية، أو الاطوار الجامعية العليا، الغالي رحمة الله عليه أخي عبد العزيز بن بلعباس سائلة من الله عز وجل أن يتغمد روحه بالرحمة والمغفرة ان شاء الله، و نور دربي أبي العزيز أدامه الله فخرا لي، إلى من وضع الله سبحانه وتعالى الجنة تحت أقدامها الى مشعل الأمة أمي الغالية، حفظكما الله وأدامكما تاجا على رؤوسنا, الى مأمني وقوتي زوجي الكريم جمال عباس وابني عبد العزيز قرة عيني رعاكما الله وأدامكما دوما نورا يضيء حياتي، الى اخوتي منبع سعادتي و سندي في الدنيا وأخص الذكر البريئين الصغيرين عقبة وبلال أطال الله أعماركم و أضاء لكم سبل النجاح، الى عائلة زوجي الكريمة، إلى صديقات دربي، رفيقاتي اللواتي سعدت بوجودهم في حياتي "وفاء، منيرة، فيروز، مريم" إلى كل من رافقوني وساعدوني في إنجاز عملي، ودعموني بالنصائح و الارشادات من أساتذة , عمال المكتبة المركزية، أستاذ الطور الثانوي حفظه الله الطيب مزعاشي ,وخاصة أستاذي المشرف على مذكرة تخرجي، من أكن له كل الاحترام والتقدير، من وقف سندا لي في كل حين، أستاذي الفاضل حمدي لكحل ... إلى كل من أحبهم قلبي وبقيت أسماءهم راسخة في ذاكرتي . شكرا جزيلا لكم جميعا.

المقدمة

مقدِّمة

مما لاشك فيه ان الفلسفة عرفت عبر مسارها الطويل تغيرات وتطورات الى ان وصلت الى ماهي عليه الان هذا التطّور مس جميع جوانبها سواء كان موضوعها ، مجالاتها وكذا مناهجها، فهي قد سارت مسار التجدّد في كل مرحلة عايشتها، بداية من الفلاسفة الطبيعيين الذين كانت لهم النظرة الميتافيزيقية و التفسير الميتافيزيقي للأمور و الوقائع ، ثم تأتي الفلسفة اليونانية اين ازدهرت الفلسفة وظهرت كفكر يهدف الى بلوغ الحقيقة وهذا اتى جليا مع الفيلسوف اليوناني أب الفلسفة سقراط محاورا ومجادلا للتيار السوفسطائي آنذاك ويتبعه تلاميذه افلاطون ثم ارسطو، بعد ذلك انتقلت الى العصر الوسيط اين كانت تمتاز بالطابع الديني الى حد بعيد، فكانت في الفلسفة المسيحية تأثير من قبل فلاسفتها ورجال الدّين على الشعب والسلطة فكانت تنتهج منهاج الفلسفة اليونانية نوعا ما وغرست في نفوس الفرد الهيبة و الرعب فجمدت التفكير ومارست سلطان الخضوع في جميع المجالات سواء كانت سياسية ،اجتماعية ، اقتصادية وخاصة الفكرية، فهدمت روح الابداع لدى الافراد وغرست التبعية في انفسهم ، وابرز فلاسفتها نذكر القدّيس أوغسطين، امّا بالنسبة للفلسفة الإسلامية فهي ذات التوجه الدّيني أيضا، ففي بادئ الامر كان المجتمع الإسلامي يرفض هو الاخر الفلسفة ويدّعي كل منتسب اليها بالزنديق، فأحرقت كتبها وهوجم كل من يحاول ان يتعمق ويدرس هذا المجال من التفكير، الى أن أتى الوقت الذي تغيرت فيه الموازين وقبلت في المجتمع الإسلامي فنشأت المذاهب الفلسفية وبزع اسم جملة من الفلاسفة الذين لايزال تأثيرهم الى حد الساعة أمثال ابن سينا و الفارابي و الغزّالي و ابن رشد وابن عربي ....الخ من الفلاسفة المسلمين الذين ارجعوا للفلسفة سلطانها بنور فطنتهم، ثم يأتي عصر الظلام الذي عرف سيطرت المسيحية من خلال رجال الكنيسة في المجتمع الأوروبي ، ثم ردا عليه يأتي عصر النهضة رافعا شعار الحرية على يد فلاسفة عظماء قلبوا موازين من كيان راضخ الى كيان ثائر ضد هيمنة رجال الكنيسة ردا على ضحايا استبداد وظلم البابا الناطق باسم الرب عندهم فاعدم من كان يحاول التأمل والتدبر في الخلق و الظواهر أمثال غاليلي غاليليو، وكنتيجة لهؤلاء الفلاسفة قام رجال مفكرين بالوقوف ضد هذا الوضع وكان لهم ذلك فاستنار هذا العصر بنور العقل الذي حلم به أي مفكر يريد توصيل أفكاره للشعب، وكان اول رائد في الفكر الحديث هو الفرنسي رونيه ديكارت الفيلسوف العقلاني اب الفلسفة الحديثة حامل مشعل الحرية الفكرية، القائل بمصدرية العقل لتحصيل المعارف خارجا بذلك من سيطرت ****الكنيسة و اللّاهوت الذي كان يسود من قبل وقال بالتجديد وترك ما كبح للفرد التأمل و التدبر في شؤون الحياة معتمدا على العقل كونه أعدل قسمة بين الناس، ولا مجال للتشكيك في نتائجه، وبهذا يكون ديكارت بمثابة لواء الحريّة الفكريّة و الفلسفيّة في العصر الحديث بابتكاره الجديد ال وهو المنهج الذي اتى به لتحصيل المعارف اليقينيّة التي لا ينتابها أي شك، فكان هذا المنهج هو المجسد للأمان و الوقاية لتفادي الأخطاء و الاغاليط التي غرسها عصر الظلام في ذهن الفرد، وبالتالي كان لهذا الأخير الفضل في نشأة هذا المنهج الذي لايزال الى

حد الساعة يؤثر في معظم المناهج والفلسفات التي جاءت بعده، وكان السبب أيضا في نشأة جملة من المناهج في العصر المعاصر، وللتعمق في هذه الدراسة قمنا بصياغة الاشكاليّة كالتالي: ما حقيقة الشك الديكارتي؟ وما هو النسق المعرفي الذي اعتمد عليه رونيه ديكارت في تأسيسه لشكه المنهجي؟ .

وتتفرع تحت هذه الإشكاليّة جملة من الأسئلة والتي سيتم التطرق الى حلها في فصول الدراسة وهذه الأسئلة هي كالتالي:

ـ كيف نشأ الشك عبر العصور؟

ـ ما حقيقة الشك الديكارتي؟

ـ ماهي أسسه وقواعده التي يركز عليها؟

ـ كيف نظر الفلاسفة اللاحقين بعد ديكارت الى الجديد الذي قدمه؟

وبالنسبة لأهداف الدراسة فهي:

ـ إيضاح جديد ديكارت في المنهج وأهميّته في فلسفته.

ـ تبيان الفرق بين منهجه وبين المناهج الشكيّة الأخرى.

ـ الكشف عن الأهميّة المعرفيّة للكوجيطو الديكارتي.

ـ اظهار قيمة الفكر الديكارتي بالعموم على الفلسفة الحديثة والمعاصرة.

وما دام موضوع الدراسة يتعلق بالشك في الفكر الغربي الحديث وأخذنا الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت انموذجا فقد ارتأينا أن يكون المنهج المعتمد في الدراسة هو التاريخي والتحليلي، وهذا ما يخدم صلب الفصول.

هنالك عدة أسباب دفعتنا الى اختيار موضوع الدراسة والتي تنقسم الى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية وهي ما يلي:

أـ الأسباب الذاتيّة:

ـ حب الاطلاع لفيلسوف اعتبره المؤرخين اب الفلسفة الحديثة.

ـ شغفي للاحاطة بمعلومات حول موضوع الشك الذي اثار اهتمامي في حقل الفلسفة.

ـ فضولي للكشف عما جاء به الشك المنهجي الديكارتي.

ـ حبي لموضوع الشك الذي كان من قبل ولوجي الى ميدان الفلسفة.

ب ـ الأسباب الموضوعيّة:

ـ موضوع الشك في متناول الدراسة والتحليل.

ـ التأثير الذي خلّفه الشك في الفلسفات التي جاءت بعده.

ـ دوره الكبير في ظهور مناهج جديدة في العصرين الحديث والمعاصر.

وكأي دراسة يقوم بها أي باحث، لابد من أن تصطدم مع جملة من الصعوبات تعرقل سيرورتها، ومن الصعوبات التي واجهتنا نذكر:

ـ صعوبة فهم بعض الأفكار التي قال بها رونيه ديكارت.

ـ تعدد التفسيرات للمواضيع التي قال بها ديكارت ونركز بالذّكر موضوع الشّك المنهجي الذي أتى به.

ـ صعوبة التعامل مع كتب ديكارت خاصة مع تعدد الترجمات.

وللتعمق في الدراسة ارتأينا ان تكون خطة البحث المعتمدة كالتالي:

قسم موضوع الدراسة الى ثلاثة فصول كل فصل يندرج تحته مبحثين وكل مبحث له مطالبه وهو كالتالي:

الفصل الأول: تاريخيّة الشّك.

المبحث الأول: الشّك عبر العصور.

المطلب الأول: الشّك في الفلسفة اليونانيذة.

المطلب الثاني: الشّك في الفلسفة الوسيطيّة (المسيحيّة والإسلاميّة).

المطلب الثالث: الشّك في الفلسفة الحديثة.

المبحث الثاني: الشّك " ماهيّته، انواعه ".

المطلب الأول: تعريف الشّك.

المطلب الثاني: أنواع الشّك.

الفصل الثاني: الشّك في فلسفة ديكارت.

المبحث الأول: روني ديكارت.

المطلب الأول: حياته

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: الارهاصات الأولى لفلسفته.

المبحث الثاني: المنظومة الفكرية الديكارتيّة.

المطلب الأول: نظرية المعرفة عند ديكارت.

المطلب الثاني: الكوجيطو الديكارتي.

المطلب الثالث: أسس وقواعد المنهج عند ديكارت

الفصل الثالث: المنهج الديكارتي بين التأيين والرفض.

المبحث الأول: المؤيديين للمنهج الديكارتي.

المطلب الأول: باروخ سبينوزا.

المطلب الثاني: نيكولا مالبرانش.

المبحث الثاني: المعارضين للمنهج الديكارتي.

المطلب الأول: ادموند هوسرل

المطلب الثاني: جون بول سارتر.

وفي الأخير ختمنا موضوعنا بالاستنتاج العام للموضوع، وركزنا هنا على أهميّة المنهج الذي قدمه لنا رونيه ديكارت لبلوغ اليقين الثابت، وكذا الأثر الذي قدمه في فكر لاحقيه من الفلاسفة.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الفصول	الصفحة
الفصل الأول: تاريخية الشك	40-13
المبحث الأول الشك عبر العصور	28-17
الشك في الفلسفة اليونانية	17-14
الشك في الفلسفة الوسيطة " المسيحية، الإسلامية "	24-18
الشك في الفلسفة الحديثة	28-24
المبحث الثاني: الشك " ماهيته، انواعه "	40-28
تعريف الشك	30-28
أنواع الشك	40-30
الفصل الثاني: الشك في فلسفة رونيه ديكارت	64-41
المبحث الأول: رونيه ديكارت	50-41
حياته	43-41
مؤلفاته	44
الارهاصات الأولى لفلسفته	50-45
المبحث الثاني: المنظومة الفكرية الديكارتي	63-50
نظرية المعرفة عند ديكارت	55-50
الكوجيطو الديكارتي	57-56
أسس وقواعد المنهج عند ديكارت	63-57
الفصل الثالث: المنهج الديكارتي بين التأييد والمعارضة	88-65
المبحث الأول: المؤيدين للمنهج الديكارتي	76-67
باروخ سبينوزا	72-67
نيكولا مالبرانش	76-72
المبحث الثاني: المعارضين للمنهج الديكارتي	88-78

ادموند هوسرل	84-78
جون بول سارتر	88-84

الفصـــــل الأول

تاريخيّة الشك.

المبحث الأول: الشك عبر العصور.

المطلب الأول: الشك في الفلسفة اليونانيّة.

المطلب الثاني: الشك في الفلسفة الوسطى (المسيحيّة والإسلاميّة).

المطلب الثالث: الشك في الفلسفة الحديثة.

المبحث الثاني: ماهية الشك.

المطلب الأول: تعريف الشك.

المطلب الثاني: أنواع الشك.

تمهيد

من المعلوم أن الفلسفة عرفت عبر مسارها جملة من التغيّرات، فليست الفلسفة اليونانيّة هي نفسها الفلسفة المعاصرة، سواء في موضوعها او منهجها، وكأي موضوع يوضع محل دراسة لابد من النظر اليه من البداية الى النهاية، أي تتبع تاريخ نشأته وتطوره، وهذا اعتبارا لكون التاريخ هو جملة من التسلسلات المتواصلة من الاحداث التاريخيّة، وهذا ما سنعرضه لموضوع الشّك في هذا الفصل.

المبحث الأول: تطور الشك عبر العصور.

ان الشّك كان منذ القدم، فهو ليس وليد الساعة بل هو موجود منذ بدء الخلق، ولقد كان وسيلة يبدا بها الباحث طريقه لبلوغ اليقين، فالبحث عن الحقيقة هو من الأمور التي ارتبطت بوجود الانسان نفسه، وهذا ما أكدته الدراسات الانثروبولوجيّة والتاريخيّة، فمنذ مطلع التاريخ الإنساني، بدا الانسان البحث عن المعرفة واليقين في كثير من الأمور بهدف فك الغموض الطاغي على عقول الناس.

ونجد ان الشّك ظهر في عصور مختلفة ونشير اليها باختصار كما يلي:

أولا: الشّك في العصر اليوناني:

في هذا العنصر سنوضح اراء بعض الفلاسفة اليونانيين حول الشّك:

1/ الشّك عند السفسطائيّين:

انقسم السفسطائيّين الى طائفتين: الأولى هي الطائفة العندية والثانية هي الطائفة العنادية، وكان للطائفتين أثر عظيم في تشكيل الوعي اليوناني في هذه الفترة، فقد أنكروا كل القيم وسنتطرق الى سرد ما جاءت به كل طائفة.

أـ السفسّطائية العندية .... بروتاغوراس487 ق.م 420 ق.م:

يقول هذا الفيلسوف مقولته الشهيرة:**" الانسان مقياس الأشياء جميعا، هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد"**[1]. لقد كان هذا الفيلسوف السفسّطائي من أكبر منظّري هذه الطائفة، وقد أكد في مقولته الأخيرة على فكرة أنّه ليس هناك حقائق بذاتها والانسان هو العنصر الفعّال والحاكم في النهاية فما تراه صوابا اراه انا خطئا ونحن الاثنان مصيبان، فليس هناك حق بعينه وباطل بعينه، انما الحق هو ما يقرر الانسان اعتباره حقا والعكس صحيح ، فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك لا الماهيّة النوعيّة، أي لا الإنسانيّة عموما ، ولكن الفرد الانسان الواحد فقط , وهنا يؤكد هذا القول حول نسبيّة القيم والمبادئ الأخلاقية والاجتماعيّة، وهذا الاتجاه لا يشك في المعرفة بشكل كلي، بل يشكك في وجود ما نجتمع حوله أصلا ووجود معاني ندركها جميعا باستخدام عقولنا، انّما المعرفة لديهم هي معرفة فرديّة خصوصيّة لا يستطيع أحد ان يقنع انسانا بما وصل اليه فهو رجل وذاك رجل والمعرفة متناقضة بينهما، و الاثنان على صواب ..... فهو اتجاه يهدم أسس الحياة الاجتماعية ويقصر الادراك العقلي قصورا كبيرا، والجدير بالذّكر هنا هو أنه وجب انتقاء الموضوعيّة من الأشياء وانسحاب النسبية على المعرفة والحقائق، ومذهبه هذا مبني على فكرة خداع الحواس.

ب ـ السفسّطائيّة العنادية .... جورجياس483 ق.م 375 ق.م:

[1] عبد المنعم عباس: ديكارت او الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط، سنة 1990، ص 122.

كان جورجياس أكبر منظري هذه الطائفة، وضع كتابا في اللاوجود قصد به التمثيل لفئة، وتتلخص أقواله في قضايا ثلاث، الأولى: لا يوجد شيء. الثانية: إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن ادراكه. الثالثة: إذا فرضنا ان انسانا أدركه فلن يستطيع ان يبلغه لغيره من الناس[1].

وهذا الاتجاه هو بداية الشّك المعرفي الحقيقي، فإنكار الوجود والمعرفة بالكليّة كان من إبداعات هذا السفسّطائي بلا شك، ولكن لم يجبنا جورجياس كيف أدرك هو أنّه ليس ثمّة وجود وكيف لا نستطيع ادراكه وهو يدرك أنّه ليس هناك وجود؟ ... وكيف لا نستطيع نقل ادراكنا وهو ينقل لنا ادراكه عن أنّه ليس ثمّة وجود، سيرى القارئ بالتأكيد تهافت هذا الادعاء وعند عرضه على العقل سيرفضه بسرعة لأنّ هذا الاتجاه كسابقه ينكر العقل بالعقل؟ ويقول بأنّنا ندرك أنّنا لا نستطيع أن ندرك فهذا تناقض غريب وهو اتجاه ضعيف بلا شك ليس ذا منهجيّة حقة إذا ما حكمنا عليه بموازين المنطق.

اللاأدريّة "بيرون 365-275 ق.م": الشّك الخلقي:

ليس الشّك جديدا في الفلسفة اليونانيّة فقديما اتهم بارمنيدس515 ق.م ,470 ق.م المعرفة الحسيّة، واتهم أتباع هيرقليديس535 ق.م ,470 ق.م المعرفة العقليّة، واتخذ السفسّطائيون من تباين المذاهب والأخلاق والعادات ذريعة قويّة للشّك، ولكنّا الان بإزاء شك جديد له أسبابه ومميزاته ، فقد ازداد عدد المذاهب واشتد تعارضها، وفتح الاسكندر بلادا رأى فيها اليونان ألوانا من العادات والأخلاق، ولمّا قضى وتمزّق ملكه وراح اليونان يتقاتلون كان من جراء انحطاطهم السياسي تخاذل الهمم وتعاظم حاجة العقلاء للراحة , فقامت الى جانب المدارس القديمة النظريّة مدارس توجهت الى طلب الطمأنينة والسعادة أولا وقبل كل شيء على ما رأينا، وكانت منها المدرسة الشكيّة لم يكن الشاك في هذا الدور نافيا متهكما كالسفسطائي ولكنه رجل مغلوب على أمره فقد الايمان بالخير والحق في بيئة تبلبلت فيها الأفكار وفسدت الاخلاق الى حد بعيد فانعزل في نفسه لا يوجب ولا ينفي انّما يقول : **لا أدري، ولم يكن كالسفسطائي مزهوا بفنّه طالبا للمال , ولكن كان جادا معرضا عن متاع الدنيا، أقرب في أخلاقه الى الرواقيّة منه الى الأبيقوريّة . ولم يكن هداما مثله ولكنه كان يرى في الاخلاد الى التقاليد والعقائد الشعبية وسيلة الى الراحة والاطمئنان**[2].

وبالنسبة الى بيرون المولود في ايليس أحد تلاميذ المغاريين، صاحب المذهب اللاأدري كان ينكر العلم واليقين فقد ذكر عنه أنّه لم يشتغل بالمنطق والعلم الطبيعي لأنه كان منصبا في بحثه حول القيم الخلقيّة وتركيزه على السعادة لا على المعرفة في ذاتها، كونه تأثر بالهنود

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ص 64.

[2] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، الحرية للنشر والتوزيع ص 371-372.

لعدم مبالاتهم بالحياة وثباتهم في الالام، لم يدوّن بيرون أفكاره بل ذكرها تلاميذه، وعلى حسب تقديره يرى ان الشّاك لا يأخذ الظواهر وهي بيّنة في النفوس ولكن يتناول الأشياء في نفسها , والشّاك عنده يمتنع على الحكم على الأشياء ويتوقف على الإقرار بأنّها كذا أو كذا . مثل معرفته لأن العسل حلو ولكن في نفس الوقت يشك في هذا الامر وهنا اقر ان العسل حلو لكن لم يصدر حكما على هذا الامر.

الأكاديمية الجديدة " مذهب الاحتمال " أرقاسيلاس وقرنيادس:

كان أرقاسيلاس 316 ق.م-241 ق.م متأثرا بأفلاطون ومنهجه الجدلي القائم على الفكرة ونقيضها، كان همه الوحيد هو صد أفكار زينون الايلي وأصحابه خاصّة فيما يعرف بـنظريّة الفكرة الحقيقيّة فليس هنالك حقيقة عنده، وقد كان هذا الفيلسوف احتماليا يركز على العقل وهنا يبدو تأثره بأفلاطون وأستاذه سقراط معارضا في الوقت ذاته لزينون وأتباعه.

أمّا عن قرنيادس 214 ق.م-128 ق.م فلم يكتب وانّما جادل، **جادل الرواقيين على الخصوص وأنكر ان تكون هناك علامة للحقيقة، نقد الحواس والعقل والعرف، وقال بالاحتمال والترجيح**[1].

ووضع لذلك ثلاثة شروط:

الأول: الانتباه، فكل ما انتبهنا اليه من التصّورات وبدا واضحا قويّا صدقناه مع الاحتفاظ برأينا أنّه قد يكون كاذبا أي اعتبرناه محتملا.

الشرط الثاني: عدم تناقض التصّورات، مثال ذلك إذا أبصرت شخصا فاني أبصر وجهه وقامته ولونه وحركاته وثيّابه والأشياء المحيطة به، فاذا اجتمعت هذه كلها صدقت الرؤيّة أي اعتبرتها محتملة، أمّا ان غاب بعضها فقد وجب عليّ الحذر.

الشرط الثالث: **امتحان التصّورات في جميع تفاصيلها، مثال ذلك إذا أبصرت حبلا وظننته ثعبانا فاني أضربه بالعصا فاعلم ما هو**[2].

ثانيا: الشك في العصور الوسطى:

انّ الشك لم يتوقف في الفلسفة اليونانيّة فحسب بل امتد الى الفلسفة الوسطى مع عدّة فلاسفة سنأخذ منهم أحد فلاسفة الفلسفة المسيحيّة وكذا الفلسفة الاسلاميّة لتبيين كيف كان الشك عندهم.

أ/ الشك في الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط:

[1] يوسف كرم، المرجع سابق ذكره ص 375.

[2] يوسف كرم، المرجع نفسه. ص 375.

القدّيس أوغسطين354-430م:

ـ موقفه من امكان المعرفة وحدودها:

انّ مشكلة المعرفة عند القدّيس أوغسطين كانت مشكلة عاشها وأحسّ بها في أعماق نفسه المتعطشة الى الحقيقة[1]، فقد عانى أوغسطين حالة من الشك، لكنه لم يرق الى مستوى الشك المطلق الذي نادى به أنصار الشك المذهبي. حيث أنّه لم يشك أبدا في لحظة من اللحظات في وجود الله، وكان همه الرئيس دائما هو البحث عن الحقيقة والتي كان يؤمن بأنّها مصدر السعادة والطمأنينة، **وقد كرّس أوغسطين أول حواراته " ضد الأكاديميين " لهذه التشككية و دفاعا عن إمكانية التوصل للمعرفة[2]**.كون أنّ إمكانيّة المعرفة هي أولى المشكلات التي تكلم عنها أوغسطين في فلسفته وركز عليها كونها مرتبطة بالحقيقة التي يبحث عنها ولأنّ البحث عن الحقيقة يستلزم بالضرورة اثبات إمكانها، وقد اهتم أوغسطين بإمكانيّة المعرفة كونه مرّ بأزمة عقلية سببها قراءاته لمقالات الأكاديميين " الشكاك " ما أدى به الى الشك في المحسوسات والمعقولات ولم يسلم من هذا الشك سوى فكرة وجود الله و العناية الالاهية بالخلق .

تأثر أوغسطين بالأفلاطونيين المحدثين ونقد الشكاك للمعرفة الحسيّة القائلين بأنّ لا نثق بكل ما تبديه لنا الحواس، وأكد بأنّه لبلوغ المعرفة وجب أولا معرفة المناهج المعتمدة في ذلك وهذا ما أطلق عليه الافلاطونيين المحدثين ب " طريق الوجدان " **أي المعرفة المباشرة العيانيّة القائمة طبعا على الحدس .intuition وقد كان يؤمن أوغسطين بوجود معرفة يقينيّة لا يتطرق اليها الشك مطلقا. اذ أنّك إذا كنت تخطئ فأنت موجود "[3]**. وهنا يؤكد للشكاك أنّه ثمة حقيقة لا يمكن أن يتطرق الشك اليها مطلقا تلك هي حقيقة وجودنا وفكرنا.

علاقة الذات بالمعرفة عند أوغسطين:

أكد لنا أنّ أول شرط لبلوغ المعرفة هو معرفة الذات كونها الأساس الأول الذي ترتكز عليه المعارف، ويمكن القول أيضا أنّ موضوع الذات هو أول المواضيع التي يجب معرفتها كونها أقرب الموضوعات اليها وهذا ما يذّكرنا بمقولة المعلم سقراط:" اعرف نفسك بنفسك، ولكن السؤال المطروح في هذه النقطة هو: كيف يتم معرفة الذات بالنسبة لأوغسطين؟

---

[1] Gerard ; O'Daly ;Augustine ;s Philosophy of mind ; Duck Worth ; London ;1987 ; p 162.

[2] ترانتي وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية , 1986، ص 29.

[3] يوسف كرم: المرجع نفسه، ص 375.

يرى أنّه في النفس قوة هائلة للتفكير، وبالتالي عليها أن تفكر بنفسها لتصل الى إدراك نظراتها الخاصة[1].

- يقول أوغسطين:" أنت الذي يريد أن يعرف نفسه هل تعرف أنّك موجود؟ اعرف ذلك، هل تعلم أنّك تتحرك؟ لا أعلم، هل تعلم أنّك تفكر؟ اعلم، كما يقول:" حين تؤكد وجودك لا يمكن أن تخشى الخطأ.

ومنه توصل أوغسطين الى تأسيس كوجيطو محتواه:" إذا كنت مخطئا فانا موجود ".

يقول أوغسطين في مؤلّفه مدينة الله الحس الخارجي ليس سوى الأداة ولا يمكنه أن يحكم على ما نراه، لنا حاسة أخرى، باطنيّة في الانسان، تفضل وتسمو على الحواس الأخرى، بها نميّز الصحيح بواسطة شيء قابل للفهم وغير الصحيح نميزه بواسطة الحرمان من تلك الحاسة. تستغني تلك الحاسة عن كل مساعد: حاجب العين وفتحة الاذن وتلك التي يستنشق الأنف من خلالها، وسقف الحلق واللمس الجسدي، ما همّه من كل ذلك؟ بتلك الحاسة أنا متأكد من أنّي موجود وأعرف ذلك، **أن أكون وأعرف. فذلك ما أحب، ومن خلال ذلك الإحساس أنّي متأكد من أنّي أحب "**[2].

2/: الشك في الفلسفة الإسلاميّة: أبي حامد الغزّالي نموذجا:

كانت الفلسفة في المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط تعرف هجوما ورفضا من قبل الشعب وسلاطين الحكم آنذاك، فحورب كل من كان يحاول أن يبدع ويتأمل في الخلق والظواهر، فمنع تدريسها و تنقيل أفكار روادها، لكن لم يلبث هذا طويلا الى أن جاء جملة من الفلاسفة الذين أرجعوا لها سلطانها أمثال ابن سينا، الفارابي، أبو حامد الغزّالي، ابن رشد وابن عربي ...وغيرهم من النوابغ في الفكر التأملي الفلسفي والذين كان لهم الدور الفعال في شرح ما أتى به القران والسنّة النبويّة الشريفة , و توقيف ما ساد من بدع وزندقة في ذلك الوقت بسبب تعدد الفرق والنحل باسم الدّين .

من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين أخذوا الشك الطريق الذي سلكوه للبحث عن الحقيقة هو الامام أبي حامد الغزّالي, الذي عاش أزمة من الشك دامة قرابة شهرين والتي مست جميع المعارف كونه انتابه قلق حول ما اكتسبه من علوم وخبرات , هذا الشك أتاه في مرحلة شبابه ابّان دراسته علم الكلام والفلسفة, حيث أقر أنّ العقائد الدينيّة من مسيحيّة ويهوديّة وإسلاميّة ماهي الّا موروثات يتوارثها عن الوالدين وعليه أكد من هذا الطرح على أنّها ليست يقينيّة

[1] جان كلود فريس، القديس أوغسطين، ترجمة عفيف رزق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 1982 ص34 -35.

[2] أوغسطين، مدينة الله، المجلد الثاني، الكتب (11-17) ترجمة يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ,2002، ص 45-46.

ولا برهانيّة , قال صلى الله عليه وسلم :" **كل مولود يولد على الفطرة, فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه او يمجسانه او يجعلانه مسلما** " [1].

وقد كان شكه في وقت اضطربت فيه الفرق وتباينت النحل والملل واختلفت المذاهب وسيطرة سلطان التقليد في اعتناق هذا أو ذاك هذا ما دفع بالشك الى دخول حياة الغزّ++6666الي مبكرا فامن به وجعله سبيله الوحيد لبلوغ اليقين، ما جعله يجلس في معزل عن الناس لفترة، محاولا التأمل و إعادة النظر في الأمور التي امن بها و لم يكن على شك في صدق محتواها، وهذا هدفه إعادة صياغة فكر صحيح لا ينتابه شك ويمكن لأي متلقي التسليم به، وقد بيّن لنا الغزّالي أنّه لو **لم يكن مجازي هذه الكلمات الاّ ما يشكك في اعتقاد الموروث ... فناهيك به نافعا فأذن الشكوك هي الموصلة الى الحق. فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ويبقى في العمى والضلالة** "[2].

لقد أكد لنا الغزّالي أنّ مطلب الحقيقة كان مسيطرا عليه منذ صباه، فلم يدع الشك يهدم شغفه لبلوغ اليقين بل كان حافزا له للثبات في برّ الأمان، حتى انّ ارادته القوية كانت سندا له لتخطي الصعوبات والعراقيل التي اجتاحت طريقه المعرفي وهنا قال لنا الامام الغزّالي**:" وقد كان التعطش الى إدراك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعها في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا"**[3]. وهنا كان يبحث عن العقيدة الأصيلة بعدم النظر الى ما أتانا من الوالدين والشيوخ بالاكتساب والتقليد، أي البحث عن الفطرة الأصيلة للحصول على معرفة يقينيّة والثبات عندها، وهذا لن ينجح الا عند انتهاج الشك كسبيل لبلوغها.

لقد سعى الغزّالي لتقصي الحقيقة بين أربعة تيارات هي: "الفلاسفة " الذين يدعون أنّهم أهل النظر والمنطق والبرهان، و" المتكلمون " الذين يرون أنّهم أهل الرأي والنظر، و" الباطنيّة " الذين يزعمون أنّهم أصحاب التعليم، وأخيرا "الصوفيّة " الذين يقولون بأنّهم خواص الحضرة الإلهيّة، وأهل المشاهدة والمكاشفة. وهنا حلّل حجة الإسلام حقيقة هذه التيارات ودرسها بعمق شديد , حتى تعرف عليها عن قرب, واستطاع ان يستوعب كل آرائها , وسجل ما توصل اليه في مؤلّفه " المنقذ من الضلال " بعد أن خرج من أزمة الشك التي مسّت كل جوانب حياته حتى جانب التدريس الذي كرّس حياته له وهذا من أجل أن يصل الى اليقين الذي لا يعتريه الشك وهكذا ركز الغزّالي في بحثه على طلب " العلم اليقيني " كونه ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم , وبحسب تشخيصه فان

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية، منشورات البحر المتوسط، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثالثة 1983، ص 621.

2 محمد عبد الرحمان مرحبا، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 الغزالي، المنقذ من الضلال، مطبعة ومكتبة الجندي بمصر، د ط ت، ص 5.

كل علم لا أمان فيه فلا يمكن اعتباره علما يقينيا , فأخذ يتصفح علوم زمانه عسى أن يعثر على علم يقوده الى اليقين .

في بادئ الأمر لم يجد من علم موصوف بهذه الصفة الّا في الحسّيات والضروريّات، كون أنّ الحواس هي الأداة المعرفية الأولى عند الانسان، فالإنسان عاجز عن إدراك أي حقيقة لا تصل اليها حواسه, فعلمه كله متوقف عليها ومن دونها لا مجال للتفكير والمعرفة فالإنسان يولد وعقله كالصفحة البيضاء، ليس له في العلم والمعرفة الاّ بمقدار ما تنقله له حواسه، وفقدان الحواس مرادف للموت[1].

انّ الانسان السليم والذي لديه حواس سليمة له كل المعرفة ولا مجال للشك فيها عكس الانسان الشاك وهنا عبّر الغزّالي بقوله عن هذه الحقيقة:" **لا مطمع في اقتباس المشكلات الا في الجليات وهي الحسيّات والضروريّات، فلابد من احكامها أولا لأتيقن أنّ ثقتي بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليديات، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات** "[2]، لكن ما لبث الى أن بطلت ثقته بالحواس وخاب ضنه في قدرتها على ايصالنا الى معرفة حقيقية ومطلقة لا ينتابها أي شك، وهذا لان معطياتها دائما ينتابه الظن وتكون محل تباين في الرأي عند الناس، فما أراه أحمر قد يراه اخر أصفر، وما تعجبني رائحته قد تزعج أحدا اخر ...، وانتهى للقول "لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات "، لأنّ أقوى حاسة وهي البصر تنظر الى ظّل فتراه واقفا غير متحرك, وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة، بعد ساعة تعرف أنّه متحرك، ولم يتحرك دفعة واحدة بل بالتدريج، وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا والأدلة العلمية تثبت أنّه أكبر من كوكب الأرض.

وهنا لم يبق لديه خيار اخر يلجأ اليه من غير العقل. وكان عليه اختباره أيضا, فالشك اذا ما مس شخصا شغوفا للمعرفة فانّه لن يرتاح حتى يصل الى مبتغاه أل وهو الحقيقة واليقين, وهنا عبّر الغزّالي عن ذلك انطلاقا من حواره مع الحواس التي قام بالشك في قدراتها فقالت المحسوسات:" **بما تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذّبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعلّ وراء ادراك العقل حاكما اخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على استحالته** "[3].وهنا بعد هذا الحوار جعلته الحواس يبطل ثقته بالمعقولات . واتجاه هذا الأمر لم يستطع الغزّالي أن يصل الى جواب لحيرته، وقالت له نفسه أمّا تراك تعتقد في النّوم أمورا وتتخيل أحوالا، وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا شك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنّه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل؟ فيما تأمن ان يكون جميع ما تعقده في يقظتك

[1] محي الدين عزوز، اللامعقول وفلسفة العزالى، الدار العربية للكتاب، تونس , 1981، ص 96.
[2] أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 7.
[3] أبو حامد الغزالي، المصدر نفسه، ص 53.

كنسبة يقظتك الى منامك، وتكون يقظتك نوما بالنّسبة اليها؟ فاذا أوردتك تلك الحالة تيقنت أنّ جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها. ولعل تلك الحالة ما يدعيه الصوفيّة أنّها حالتهم. اذ يزعمون أنّهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا لا توافق هذه المعقولات، ولعلّ تلك الحالة هي الموت, اذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا "، فلعل الحياة الدنيا نوم إضافة الى الاخرة، فاذا مات ظهرت له أشياء على خلاف ما يشاهده الان ، ويقال له :" فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " وهنا لما خطرت هذه الخواطر على الامام الغزّالي حاول أن يجد علاجا لكنّه فشل في ذلك, ودامت أزمت الشك عنده قرابة شهرين وذلك لما جاء في قوله :" **فاعضل الداء ودام قريبا من شهرين انا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال** "[1]. هذه هي أزمة الشك التي أصابة الغزّالي والتي بسببها أصبح لا يؤمن بأي شيء، الى أن شفاه الله عز وزجل من هذه المصيبة وهنا يقول:**" وعادت النفس الى الصحة والاعتدال –أي بعد شهرين-ورجعت الضروريّات العقليّة مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل ولا ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظنّ أنّ الكشف موقوف على الأدلة، فقد ضيق رحمة الله الواسعة "**[2].

ثالثا: الشك في الفلسفة الحديثة:

انّ من مميزات الفلسفة الحديثة هو انفصالها عن الدّين، أي التخلص من حكم الكنيسة وفكرة تجميد العقول وبالمقابل الدعوة الى اعمال العقل، وهذا ما نتج عنه التطّور العلميّ والمعرفي، وكذلك من مميّزات هذه الحقبة هو ثنائيّة أصل الفلسفة أي الصراع بين الاتجاه العقلي بزعامة روني ديكارت والاتجاه التجريبي مع فرانسيس بيكون وأتباعه، فكل من الاتجاهين له سبيله لبلوغ الحقيقة، فالأول يرى أنّ مصدر المعرفة هو العقل، والثاني يأخذ بالتجربة كأصل لاكتساب الخبرات.

لقد امتاز عصر النهضة بالرّوح النقدية والتي تعد أول خطوة نحو الشك فيما تعلق بتعارض النظريات وتناقض المذاهب، فأدى ذلك الى الشك في صحة الأفكار[3]. مما جعل القرن 16 يشهد موجة عارمة من الشك نتيجة هدم ما هو ثابت، **كما تميّز كذلك بالكشوفات العلميّة ممّا بثّ الشك وسط رجال الدّين، وظهور هذه الكشوفات العلميّة ساهم في البحث عن علم كلي شامل بإمكانه الوصول الى معارف عن طريق الاستنباط والحدس**[4]، وكان من **الشكيين**

[1] أبو حامد الغزالي، المصدر نفسه ص 54.
[2] المصدر نفسه، ص54.
[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء الإسكندرية , 2001، ص 85.
[4] علم كلي شامل يعني عند ديكارت الفلسفة (أنظر: كتاب عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، د م، د ت، ط3 , 1982، ص 23.

آنذاك روني ديكارت حيث بدأ شكه في المعارف الحسيّة ثم المعارف العقليّة وأخيرا الشك في كل شيء[1].

روني ديكارت: René Descartes 1596-1650م

بالحديث عن روني ديكارت فقد سلك نفس الخطوات التي سلكها الغزّالي وكذلك أوغسطين وهي خطوات الشك المنهجي، وقد اشتهر بأنّه رائد الشك المنهجي في العصر الحديث، فهو أول من أرسى معالم الفكر الفلسفي، وقد أكد ديكارت في مؤلّفاته ضرورة الشك عند الانسان ولو مرة واحدة في حياته لكي يصل الى اليقين، ونرى ذلك في قوله:" في أنّه للفحص عن الحقيقة يحتاج الانسان مرة في حياته، أن يضع الأشياء جميعا موضع الشك بقدر ما في الإمكان "

رأى ديكارت أنّه وجب الشك في وجود العالم الخارجي وفي حقيقة الأشياء المحيطة به، وفي وجود أشباهي من الناس، وفي جميع الاحكام التي تبدو أوضح القضايا وأكثرها بداهة، والانسان بعد أن يكون قد شك في كل هذا، فانّه يصل الى اليقين الأول وهو يقين النفس أو " الكوجيطو " لأنّ ثمّة شيئا واحدا يظل دائما بمنأى عن الشك وهو الفكر فأنا أفكر، أي أشك، وبذلك وضع ديكارت أساس اليقين الأول، وهو يقين الفكر، وقال عبارته الشهيرة:" أنا أفكر إذا أنا موجود " هذه الحقيقة التي وصل اليها عن طريق مبدأ الشك المنهج الجديد الذي قدمه للفكر والفلسفة.

دافيد هيوم David hume 1716-1776:

لقد تميّز العصر الذي أتى فيه هيوم ال وهو عصر التنوير بسلطة العقل، الذي عن طريقه تطّور العلم و المعرفة، وتعددت الدراسات في شتى الميادين، هذا أبرز عامل استفاد منه هيوم لتكوين فكره، تبنى فكرة أنّ كل معارفنا يمكن ردها الى التجربة، وقد وقع بذلك في الشك عن طريق تأرجحه بين المذهبين المثالي و المادي, فهو لم يلغي أي منهما كما فعل باركلي الذي شك في وجود العالم المادي ولاحقا كما فعل كانط عندما ألغى كل من المادية و المثالية، فالشك موروث ديكارتي استغله هيوم للقضاء على مخلفات و أغاليط الفكر الفلسفي منذ القديم ، وخاصة الوسيط . وقد كان يعتقد أنّ كل ما مرّ به الفرد مباشرة من خبرة لم يكن أكثر من محتويات شعوره الخاص، او ما يتضمنه عقله الخاص، كما كان يعتقد هيوم بوجود عالم خارج منطقة الشعور الإنساني، ولكن لم يطرا على ذهنه أنّ هذا الاعتقاد كان من الممكن اثباته.

لم يعتقد هيوم **بوجود معرفة يقينية ذلك لأنّ كل معارفنا صادرة عن التجربة ولو افترضنا أنّ كافة معارفنا تنشأ عن الحواس فانّ هذا يستدعي منّا استخدام المنهج الشكي لمبدأ السببيّة**

[1] المرجع السابق، ص 68.

ولهذا استخدمه هيوم عندما قام بإرجاع المعرفة الإنسانية الى مصدرين هما: الإحساس والأفكار "[1].

من ميزة هيوم في تاريخ الشكيّة، كونّه أولا تجريبي المبدأ، اذ يقف على طرف المعاكس للغزّالي وديكارت وسائر العقليين، وأيضا نقده للعقل في الماورائيات بقوة أكثر من سابقيه التجريبين أمثال فرانسيس بيكون وجون لوك، وأخيرا سلكه طريق الايمان بالدّين من خلال اعتناق مذهب الشك ليكون مسيحيّا كاملا ومؤمنا، يقول هيوم " في كلّ براهين العلوم تكون الأحكام أكيدة وناجعة، ولكن عندما نطبقها عمليا تكون عرضة للخطأ والشك في ملكتنا العقلية، اذ تكون ميّالة للانحراف عنها والانحدار نحو الغلط".

كان لشكية هيوم أثرها البارز في مسألتين هما:

1/ الشك في بداهة العقل، وهدم حقل الميتافيزيقا , فمن الأجدر بالنسبة الى هيوم رمي كل التراث الميتافيزيقي الى اللّهب, وعند الحديث عن الميتافيزيقا يكون الدّين من أهم النصوص التي يجب ان يلتهمها لهيب النّار، لم يعد مبدأ العليّة مبدأ عقليا، بل هو صلة جامعة بين علّة ومعلول في اطار التجربة الإنسانيّة، أمّا عن حدود العليّة فهي لن تكون البتة مبدأ عقلي، وعند الحديث عن العلّة لابد الاّ نمكث في مجرد العلّة القائمة في عالم الظواهر الطبيعيّة , بل علينا أن نتابع الى حد العلّة الأولى للكون 'فهي غير معقولة ' وليست الاّ تتابعا وعادة ألّفها التفكير الإنساني , هنا يعمل النّقد الهيومي على تحرير الانسان الحديث من المعتقد .

2/ لا وجوب من الوجود، وهي المقولة الهيومية الكبرى التي مثّلت بداهة الفلسفات الوضعيّة والعلمانيّة القادمة في أفق القرن العشرين، وفصل القضايا الوصفيّة والقضايا المعيارية هو فصل بين احتمال الوجود الإلهي والأمر الأخلاقي وهو تحوّل للأخلاق نحو الضمير الإنساني الحر، تثبيت الأخلاقية في التجربة الإنسانية الوجدانية، وقد تخلصت كل الاملاءات الفوقية التي يقتضيها الدّين، وهكذا مثّلت فلسفة دافيد هيوم نقطة تحول شديدة الأهمية في مسار العلمنة وتحرير الضمير الإنساني من سلطة الدّين.

المبحث الثاني: ماهية الشك.

في هذا المبحث أخذنا موضوع الشك من الناحية المفاهيمية، لنعي المقصود به سواء في الشق اللغوي او الاصطلاحي، ثم نعرج لشرح أنواعه، وهذا بهدف الإحاطة بالجانب المفاهيمي لموضوع الدراسة.

أولا: تعريف الشك.

[1] ابراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، ص 236.

1/ **لغة:** لفظ مأخوذ من شك يشك شكا، وفي معاجم اللغة يوجد معاني كثيرة لهذا المصطلح منها:

1-الشك بمعنى تدخل:

قال ابن فارس: الشين وكاف الأصل يشق بعضه من بعض وهو يدخل على تداخل ومنه: **شككت برمح وذلك إذا طعنته فدخل اللسان جسمه "**[1].

ومنه قول عنترة:

شككت برمح الاصم ثياب *** ليس الكريم على قنا بمحرم.

2-الشك بمعنى نقيض اليقين:

فالشك يستخدم كمقابل لليقين فتقول: شككت بأمر أي ذهب اليقين فيه.

3-الشك بمعنى الرّيب: يقال شك في أمر أي ارتاب منه، قال الله تعالى:**" ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين "**(البقرة :2)[2].

4-الشك بمعنى الالتباس: فيقال: شك في الأمر، يشك شكا، اذ التبس لعدم وضوح الأمر[3].

5-الشك بمعنى الاضطراب في القلب والنفس: **وذلك باعتبار ما يعتري القلب من التردد المصاحب لمن يشك**[4].

2/ اصطلاحا :

عرّفه الجرجاني[5] بقوله: **هو التردد بين نقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الاخر عند الشاك**[6].

وذكر أيضا في تعريفه أنّه **ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب الى أحدهما**[7].

---

[1] معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار كتب علمية، (173/3).

[2] سورة البقرة، الآية 2.

[3] المصباح المنير (167) لأحمد المغربي ط: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ والمعجم الوسيط (1,490).

[4] المصباح المنير (167).

[5] * هو علي بن محمد بن علي الجرجاني ويعرف بالسيد الشريف اهتم بكثير من العلوم وخاصة اللغوية والعقلية ومن أبرز مؤلفاته: التعريفات، شرح المواقف، متكلم، ما تدري، جمع بين فلسفة وعلم الكلام ... توفي سنة 816 هـ.

[6] الجرجاني، التعريفات: تحقيق إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي 141.

[7] الجرجاني، المرجع سابق ذكره 141.

أمّا الجويني[1] * فذكر في تعريف الشك فحوى التعريفين السابقين وزاد عليها بقوله: الشك ما استوى فيه اعتقادان او لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما الى درجة الظهور الذي يبنى عليه العاقل الأمور المعتبرة.

لقد اتخذ مفهوم الشك بعدا كبيرا ومؤثرا في المجال المعرفي عموما، فتنوّعت مجالاته ومفاهيمه وصارت له مدارس تتخذه منهجا وطريقا لأفكارها واعتقاداتها، فصار مصطلح الشك او الشكاك في المجال الفلسفي والمعرفي له مدلوله الخاص الذي يميزه عن بقية المذاهب والاتجاهات الأخرى.

فبداية كان مصطلح الشك Sception **في اليونانية يعني في المقام الأول التساؤلات، كما يعني من ينظر بإمعان أو من يتفحص باهتمام قبل أن يصدر حكما أو يتّخذ قرارا**[2].

ولكن هذا المفهوم للشك -**الذي هو مطلب مهم لكل صاحب عقل ووعي-قد تغيّر، ولم يعد مفهوم الشاك يعني أنّه أحد الباحثين الذين يتّخذون اتجاها نقديا غير مثقل بأحكام سابقة وانّما أصبح يعني أنّ الشاك هو أحد المفكرين الذين ينكرون امكان المعرفة سواء كان هذا الانكار جزئيا او كليا شاملا لكل معرفة**[3].

ـ فالشك بهذا الحال هو بمثابة حالة ذهنية يكون الدماغ فيها معلقا بين افتراضين متناقضين أو أكثر، يعجز قبول أحد منهما بدلا من الاخر.

وعليه يكون الشك بهذا الشكل يعني الارتياب حول صدق وأمانة الاخرين، وما ان نظرنا اليه هو ومصطلح الريبة بتأمل نؤكد أنّهما يختلفان فالريبة تعني شك مع تهمة، والشك هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء.

ثانيا: أنواع الشك:

من خلال عرضنا لجملة من التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الشك سنتطرق للحديث عن أنواع الشك والتي تنحصر في نوعين هما كالتالي:

1/ الشك المنهجي:

وهو منهج يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض ارادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات، محاولا بذلك تطهير عقله من كل ما يحتويه من أكاذيب ومغالطات، وتدريبه

---

[1] * أبو المعالي: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب ب: امام الحرمين، ولد في جوين من نواحي نيسابور عام 419 هـ وهو كمن أئمة الاشاعرة الكبار، تتلمذ على يده الغزالي، ودرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي من أبرز مؤلفاته: الارشاد الى قواعد الأدلة، والشامل في أصول الدين.

[2] الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمان بدوي: (16/2) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط الأولى 1984م.

[3] الفلسفة ومشكلة الشك، حمدي زقزوق (117) دار المعارف ط الخامسة 1994م.

على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول الى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة، بحيث يقيم عليها قضايا يقينية[1]. إذا الشك المنهجي عبارة عن وسيلة للبحث عن اليقين.

والانسان بطبيعته له بعض الأحكام والتصورات حيث يقول الدكتور توفيق الطويل " **وهذا الشك المنهجي خير طريقة لاتقاء هذه الأخطاء، انّه خطوة تسليم الى اليقين او تؤدي الى المعرفة الصادقة، فهو وسيلة وليس غاية في ذاته، يزاوله الباحث بإرادته ومحض رغبته ومن ثم يستطيع التحرر منه، انّه نتيجة عزم من الباحث على أن يشك بنظام وبمقتضى مبدأ في أي فكرة يمكن أن تكون مثارا للشك** "[2].

ويؤكد هذا المعنى هاملتون [3]*(1788-1856م) بقوله:" انّنا نزاول الشك مؤملين ان ينتهي بنا الشك الى الاعتقاد "[4]، أي نقوم بالشك في الأمور التي قمنا بتلقيها في أي مجال، وهذا بهدف تأكيد صحتها والغاء كل ما تأكدنا من خطئه.

ويرى أصحاب هذا المنهج أنّ **المعرفة الموضوعية ممكنة وانّ في استطاعة العقل الوصول الى اليقين والحقيقة، وذلك عن طريق الشك في كل ما اكتسبناه من أفكار وعادات في الماضي، فالشك في نظرهم هو الوسيلة الناجحة للوصول الى اليقين**[5]. أي أنّ من ميزات العقل هو التفكير النقدي، وهذا هو الأساس في عملية الشك لبلوغ الحقيقة المطلقة والمثبتة، فالشك هو المنهج الوحيد الذي ما إذا اعتمدنا عليه حفظنا ذلك من الوقوع في التناقض والخطأ.

وكانت بدايات هذا النوع من الشك عند اليونان وبالأخص عند سقراط أب الفلسفة ومنزلها من السماء الى الأرض، وذلك عن طريق المنهج الذي نهجه في مناقشة محدثيه وهو التهكم: **الذي يؤدي الى تخليص العقل من الأخطاء والتوليد الذي يرشد الى الحقيقة، ففي مرحلة التهكم يبدو مع محدثيه وكأنّه يتعلم منهم فيسلم بأقوالهم مصطنعا الجهل ثم يأخذ في التساؤل والاستفسار واثارة الشكوك في صحة ما يقولون حتى يتم تحرير عقولهم من الأخطاء والاهتداء للحق**. أي ادعاء سقراط عدم المعرفة بالأمور، وهذا من أجل ترك المتلقي يعطي أفكاره ثم يثبتها وفي نفس الوقت يطرح عليه سقراط أسئلة حول اجاباته، وبهذا الشكل وعن طريق السخرية، يتيقن المتلقي بالخطأ الذي كان مؤمنا بصحته.

---

[1] الموسوعة الفلسفية العربية: معن زيادة (524/1)

[2] أسس الفلسفة، توفيق الطويل 314

[3] *فيلسوف أسكتلندي اهتم بالمنطق، من رواد المثالية، من اهم مؤلفاته: الميتافيزيقا والمنطق.

[4] توفيق الطويل، المرجع نفسه، ص316.

[5] توفيق الطويل، المرجع نفسه، ص319.

وقد تنبّه أرسطو الى هذا النوع من الشك وفرق بينه وبين الشك الحقيقي الهادم , وأوصى بمزاولته عند البدء بدراسة أي بحث علمي , حيث أنّه وجد علاقة ضرورية تقوم بين الشك و المعرفة الصحيحة , وكشف عن عنصر الايمان الذي يقوم مطمورا في ثنايا الشك النزيه , ورأى أنّ من يريد أن يكسب ملكة تحصيل المعرفة يجد في الشك الذي يقوم على التروي و التبصر تحقيقا لغايته , لأنّ المعرفة التي تعقب الشك تكون أقرب الى الصواب , يقول الدكتور مصطفى النشّار :"انّ الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه , يشبهون الذين يسيرون على غير هدى فلا يعرفون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه " فيما يقول هو نفسه :" **انّ كل حكم يصدره باحث ينبغي أن يسبقه نظر في الأسباب التي تؤيده و المبررات التي تعارضه** "[1].

وفي القرون الوسطى استخدم أوغسطين الشك كمنهج للوصول الى الحقيقة وذلك عن طريق استبعاده الحواس كمصدر للمعرفة، حيث **أنّه وجد أنّها كثيرا ما تخدعنا ثم وجه النظر الى العقل فوجد أنّه يستطيع اصدار أحكام صادقة، علاوة على وجود بعض الحقائق التي لا سبيل للشك فيها كالقوانين المنطقية وحقيقة وجودنا وفكرنا**[2]. وهنا نجد أنّ أوغسطين قد نبّه الى وجود حقائق وقوانين ليست موضعا للشك بكل صوره وأشكاله. وفي نفس الوقت نفى وأبعد كل ما تقدّمه لنا الحواس، كونها ليست ثابتة، فلكل واحد قدرته الحسية ولا مجال للتوفيق في أحكامها، وعليه وجب التخلي على معطياتها لتأمين مصداقية ما توصلنا اليه، ولا يحدث هذا الاّ عندما نضع العقل محل اصدار الاحكام.

وفي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في نشر وتأصيل هذا النوع من الشك، فقد قال الجاحظ في ذلك:" **اعرف مواضع الشك وحالاته الموجبة لها، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك تعلما** "[3].

ويمكن اعتبار الغزّالي أعظم ممثل للشك المنهجي في الفكر الإسلامي وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله، حيث رأى أنّ الشك هو الذي يجعل الوصول الى الحقيقة ممكنا، ويقول في ذلك:" **الشكوك هي الموصلة الى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال** "[4]. أي الشك هو العنصر الأهم في عملية التحقق من صدق ما تلقيناه في أي مجال كان.

---

[1] قصة الفلسفة، ول ديورانت مكتبة المعارف ' بيروت , 1405هـ -1985م ص 115.

[2] نظرية العلم الأرسطية، مصطفى النشار، دار المعارف ط، الثانية 1995، ص 92.

[3] تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، يوسف كرم، دار الكتاب المصري ,1946م ص 28.

[4] الحيوان، الجاحظ (35-7)

وفي الفلسفة الحديثة نجد ان الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون [1]*(1561-1626م) ممن استخدموا الشك المنهجي للوصول الى الحقيقة، والذي دعا بيكون لذلك هو وجود عدد كبير من الاوهام التي تلقيناها من المجتمع واستقرت في عقولنا دون انتباه منا، ولكي يتم لنا الوصول الى الحقيقة يجب التخلص من هذه الأوهام والأفكار قبل القيام بأي عملية فكرية وقد لخصها بيكون في هذه الأوهام:

أ- أوهام القبيلة: ويقصد بها الأوهام التي رسخت في الذهن البشري ولا يوجد لها أساس لمجرد أنّها صادفت هوى أو رغبة خاصة.

ب -أوهام الكهف: وهي عبارة عن الأوهام التي تنشا عن الظروف المحيطة بالفرد، فتحصر عقليته في إطار معين من التفكير وتفرض عليه نوعا من العزلة.

ج - أوهام السوق: وهي الأوهام التي تنشا من ميل الذهن الى الانبهار بالألفاظ المستعملة في التجارة واجتماع الناس بعضهم ببعض.

د - أوهام المسرح: **وهي الأوهام التي انحدرت الينا من مذاهب الأقدمين وعقائدهم ويتم تقسيمها لمجرد أنّها قديمة دون العناية باختبار مدى صحتها**[2].

وهكذا يرى بيكون أنّ **الشك المنهجي يقتضي علينا أن نتوقف وقفة محدودة نتأمل فيها في الأوهام الشائعة التي نشأنا على احترامها وتصديقها لمجرد أنّنا وجدنا من سبقونا قد اعتقدوا صحتها، وبذلك نخلّص العقل من القيود التي تكبله، ونجعله صفحة بيضاء قابلة لاستقبال المعرفة الجديدة**[3].

2/ الشك المطلق:

وهو الشك الذي يتضمن استحالة المعرفة، وانعدام الثقة في أدواتها، ويكون في ذاته غاية لا وسيلة، فيبدأ صاحبه شاكا وينتهي شاكا، وهو يتفادى الخلافات التي تثور بين العلماء والفلاسفة، فيلجأ للأمان ويؤثر الترجيح او الاحتمال او التوقف عن اصدار الحكم وذلك حسب التوجه الفلسفي المنبثق منه هذا الشك[4].

وهذا النوع من الشك يمكن تقسيمه الى قسمين رئيسيين يندرج تحت كل قسم بعض الصور المتعددة المتفرعة منه وأبرز اقسامه ما يلي:

---

[1] *فيلسوف ومحامي انجليزي اهتم بالفلسفة العلمية والتجريبية من أبرز مؤلفاته " الاورغانون الجديد.

[2] الفلسفة الحديثة، عرض ونقد احمد السيد رمضان، مكتبة الايمان المنصورة ص 88.

[3] مدخل الى الفلسفة، عبد المجيد عبد الرحيم ص 196.

[4] أسس الفلسفة، توفيق الطويل، 307.

القسم الأول: الشك الكلي:

وهو الشك الهادم المتطرف الذي يكون الشك فيه عاما شاملا وهو على صورتين:

الصورة الأولى: الشك الكلي في المعرفة:

وهو الشك الذي ينكر كل صورة من صور المعرفة أو وسائلها، والمقصود بالمعرفة هنا المعرفة على أوسع معانيها دون مراعاة لنوعية العلم أو المعرفة التي يسعى المرء للحصول عليها، أي بدون مراعاة ما **إذا كان هذا العلم المطلوب علما مطلقا قاطعا بصورة واضحة أو علما قابلا للتصحيح يمكن تعريضه بعلم اخر إذا اقتضى الامر**[1].

وتتمثل هذه الصورة من الشك في الشك البيروني الذي سبقت الإشارة اليه. وهو الشك الذي يتوقف عن الايجاب والسلب، وينكر امكان المعرفة بالإطلاق.

وهذه الصورة من صور الشك هي الذي يطلق عليها العرب مصطلح " اللاأدرية " ووصفوهم بأنهم من يقدحون في كل من الحس والعقل ويتوقفون عن الحكم، لأنّه ليس بعد الحس والعقل من حاكم الاّ النظر، والنظر فرع الحس، والعقل فباطل ببطلانهما، وأنّه لا ضرورة، فيجب التوقف في الحكم بوجود كل شيء وفي علمنا به[2].

وهذا التوقف عن الحكم من شأنه أن يورث حالا من عدم القابلية للتأثر والسكينة الكاملة في النفس والتحرر من العاطفة، وضربا من اللامبالاة بالأشياء الخارجية[3].

الصورة الثانية: الشك في الحقيقة:

وهو الشك الذي لا ينكر امكان معرفة الحقيقة وحسب بل ينكر الحقيقة ذاتها. أي يرفض الحقيقة ذاتها ولا يستثني منها أي عنصر، أي أنّ الشك هنا شك كلي يمس كل عناصر المعرفة، وهذا يعني رفضهم لمعطيات الحس والعقل معا.

ويمكن جعل الشك في الحقيقة على وجهين:

أ ـ انكار وجود حقيقة موضوعية مستقلة عن اعترافنا الشخصي وكل المحاولات التي بذلت حتى الان لتوضيح مفهوم الحقيقة كانت محاولات قاصرة[4].

---

[1] مجلة الحكمة، العدد الأول. السنة الأولى، شوال 1396 هـ، أكتوبر 1976 م، بحث بعنوان الفلسفة ومشكلة الشك: م حمود زقزوق 134.

[2] الفصل في الملل والاهواء والنحل، علي بن احمد المعروف بابن حزم الظاهري (360/1) ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى 1416هـ /1996 م.

[3] تاريخ العلم، جورج سارتون، ترجمة توفيق الطويل واخرين، (3-360)، دار المعارف، القاهرة , 1961 م.

[4] مجلة الحكمة، 135.

وهو ما عبر عنه السفسطائي جورجياس بقوله:" أنّه لا يوجد شيء..."

وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب " العناديّة " وهم الذين يذهبون الى أنّ إدراك حقيقة أي شيء ـ على فرض وجودها ـ فوق مقدور البشر، وأنّ كل ما ندركه من الأشياء انّما هو ظواهرها المتغيرة في كل أن[1].

ب ـ **استباق مفهوم الحقيقة، ولكن ليس باعتبارها مفهوما موضوعيا، وانّما يؤخذ على أنّه مفهوم نسبي له اعتباره للفرد المفكر**[2].

وهو ما يعبّر عنه السفسطائي جورجياس في قوله:" **الانسان مقياس كل شيء** "[3].

وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب اسم " العندية " وهو الذين يذهبون الى القول بأنّ كل شيء انّما هو بالنسبة الى من عنده علم بذلك الشيء، أي بحسب نظره فيه: **ان حقا فحق وان باطلا فباطل**"[4].

القسم الثاني: الشك الجزئي:

وهو لا يتضمن انكار المعرفة أو الحقيقة بإطلاقها أو بمعناها الكلي، بل هو يختص ببعض الصور والاتجاهات دون البعض الاخر. وهذا النوع من الشك يتطرق الى اثبات جزء من الحقيقة ويكون من خلال اثباته وتعصبه لهذا الجزء رافضا ومشككا في الجزء المقابل والمضاد لما أثبته.

3/ الشك الاعتقادي:

وهذا النوع من الشك هو الذي يستهدف العقائد الدينيّة التي أخبر بها الله سبحانه وتعالى وجاء بها الوحي المنزل على أنبيائه صلوات الله عليهم.

والشاك في هذا النوع امّا أن يتجه الى انكار الدّين بذاته فيرفض الوحي جملة وينكر بعث الأنبياء والكتب المنزلة عليهم من السماء، أو يكون شكه جزئيا في بعض الاحكام والاعتقادات التي تضمنتها الشرائع والديانات، فنجده ينكر الملائكة أو عذاب القبر أو يرد بعض النصّوص النبويّة الصحيحة ويجعل له حججا وبراهن امّا عقلية أو حسّية ترد كل هذه الاعتقادات.

---

[1] تمهيد للفلسفة، محمود زقزوق، دار المعارف، ط الخامسة , 1994 م، ص 126.

[2] مجلة الحكمة، 135.

[3] تاريخ الفلسفة اليونانية، محمد عبد الرحمان مرحبا 170.

[4] تمهيد للفلسفة، محمود زقزوق، 136.

وهذا النوع من الشك يتخذ عدة صور يمكن الإشارة اليها باختصار كما يلي:

الصورة الأولى: الشك الذاتي في المعتقد:

وفي هذه الصورة يكون الشاك متشككا في ذاته وفي اعتقاده الفردي حول هذه العقيدة فهو لم يصل الى مرحلة الانكار الكلي لها ولم يصل أيضا الى مرحلة التسليم واليقين التام بهذه العقيدة فيبقى فيها حائرا متذبذبا لم يصل الى نتيجة نهائية فيما يتعلق بالقبول او الرفض لها فيؤثر الصمت حولها او ايراد الحجج المتقابلة دون ترجيح او اعلان الشك التام الصريح في هذه المسالة، وتتكافا الأدلة لديه ولا يصل الى معتقد واضح فيها.

الصورة الثانية: تشكيك الناس في العقائد:

وهذه الصورة ينهجها أعداء الدّين , وذلك انّهم في سعيهم للقضاء على الدّين و محاربتهم لأهله ,و رغبتهم الشديدة في زعزعة اليقين لدى أصحابه يلجؤون للتشكيك في الدّين ذاته وفي كل مصادره بداية من وجود الله سبحانه وتعالى و مرورا بالتشكيك في النبوة و الكتاب ونهاية ببعض العقائد الدينية الشرعية التي جاء بها الدين .وهذه الصورة هي التي ينهجها الكفار و المشركون و أعداء الدّين منذ عهد النبوّة الى عهدنا الحاضر كما قال الله تعالى عنهم :" **انّ الذين لا يؤمنون بالأخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ومالهم بيه من علم ان يتبعون الاّ الظّن وانّ الظّن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا** "[1].

فهم في الأصل منكرون للدّين أو لبعض العقائد التي جاء بها، ولكنهم يشككون الناس ويحققون بهذه الوسيلة التشكيكية صرف الناس عن دينهم واعتقادهم وزعزعة مصادرهم الدينية الربانية.

الصورة الثالثة: الانكار للدين او بعض العقائد:

وهذه الصورة هي الظاهرة فأصحابها لا يشككون بل ينكرون ولا يتوقفون بل يجزمون بالإنكار ويجاهرون به ونحن نضعهم في مصاف الشكاك لعدة اعتبارات يمكن ايجازها في النقاط التالية:

أ ـ انّ الملحد أو المنكر للاعتقادات الدينية يعارض أمرا صحيحا فطريا يجعلنا نجزم يقينا بخطاه، وهو عندما ينكر كل هذه الأمور الفطرية الضرورية والتي هي في الواقع مملوكة لديه, ونعني به فطرية الايمان بالله والمحسوسات والمعقولات وكل ما يتعلق بها من

[1] سورة النجم، الآية: 27-29.

اعتقادات، فهو على هذا متذبذب بين ما وهب له من ضروريات وفطرة وبين انكاره الصريح لها فيكون شاكا بهذا الاعتبار[1].

ب ـ انّ المتتبع لأحوال هؤلاء المنكرين وخاصة لبعض العقائد الدينيّة يجدهم ينكرون أمرا معينا ومن ثم يتناقضون فيثبتون نقيضا لها مما يتساوى معه في مبرراته، ولأنهم لم يقيموا أسسا منهجية واضحة فكل هذا جعلهم يضطربون ويتحيرون، فلأجل ذلك فهم في الأصل متشككين، وليس لديهم قناعة واضحة بما ينكرون.

ج ـ انّ كثيرا من هذه الانكارات جاءت عند فلاسفة مذهبهم العام هو الشك، ولكنهم في بعض الاعتقادات يجتهدون في نفيها نفيا مباشرا صريحا لكي تخدم مذهبهم الشكي العام، سواء كان شكا كليا أو جزئيا معينا في نوع معين من المعرفة الإنسانية.

[1] لن تلحد، أبو عبد الرحمان بي عقيل الظاهري، 99.

الفصل الثاني:

الشك في فلسفة رونيه ديكارت.

المبحث الأول: روني ديكارت.

المطلب الأول: حياته.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: الارهاصات الأولى لفلسفته.

المبحث الثاني: المنظومة الفكرية الديكارتية.

المطلب الأول: نظرية المعرفة عند ديكارت.

المطلب الثاني: الكوجيطو الديكارتي.

المطلب الثالث: أسس وقواعد المنهج عند ديكارت

تمهيد:

بما اننا تناولنا في الفصل الأول نبذة تاريخية لنشأة وتطور الشك عبر العصور، ونظرا الى ان موضوع بحثنا يرتكز على رائد الفلسفة الحديثة وانتاجه الجديد في حقل الفلسفة، سنحاول في هذا الفصل الالمام بما اتانا به من مفهومه ونظرته للمنهج وكذا القواعد والاسس التي وضعها بهدف بلوغ اليقين والحقيقة المطلقة. وقبل هذا وذاك، سنقوم بعرض نبذة مختصرة حول حياة ديكارت وأهم مؤلفاته، كل هذا سنأخذه بالتفصيل في هذا الفصل.

المبحث الأول: رونيه ديكارت

ديكارت فيلسوف ولد في 31 مارس 1596 ميلادي بمدينة لاهاي، ويعد رائد الفلسفة الحديثة وفي الوقت نفسه رياضيا ممتازا، لذلك نجده قد ابتكر الهندسة التحليلية. درس بمدرسة لافليش لليسوعيين، بدأ مرحلته الفلسفية في البحث عن معرفة يقينية مشابهة لذلك اليقين والدقة الموجودة في العلوم الرياضية، انتقل فيما بعد ليتحصل على شهادة لسانس في القانون، الى جانب الدراسة انخرط ديكارت فيما بعد في صفوف الجيش[1]. لكن نضرا لجسده النحيل وصحته التي لا تقوى اعتزل الجيش، وأخذ يجول العالم باحثا عن هدوء

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1, 1984م، ص 488-489.

الارجاء ليتيح له ذلك التأمل ومن ثم الابداع في مجال الفلسفة. فقد شهدت حياة ديكارت العديد من المحطات حتى استقر في مدينة "اولم" جنوبي المانيا أين استقر في غرفة توسطتها مدفأة أطلق عليها المؤرخون اسم " مدفأة ديكارت «. **وفيها حدثت الرؤية العجيبة وهي رؤية علم رياضي على شكل 3 أحلام فسّرها ديكارت بأنّها دعوة لأنشاء علم مدهش من أجل ذلك سافر ديكارت الى شمال فرنسا باحثا عن الخلوة والهدوء في الريف ومن أجل هذا المبتغى الأخير سافر الى هولندا واستقر فيها حتى نهاية حياته** [1] إذا كانت الرؤى التي شهدها ديكارت هي العامل الأساسي في بداية نشأة مشواره الفلسفي، **وبالنسبة الى شخصية هذا الفيلسوف فكانت موضوعا للنقاش والتحليل فميله الكبير الى التكتم بالإضافة الى ميله شيئا فشيئا الى أن يخفي كل اهتماماته**[2]. وعليه يتبيّن لنا أنّ شخصية ديكارت كانت تتسم بالغموض والوحدة من أجل استظهار عبقريته التي أدهشت الدارسين له على مرّ التاريخ، ومن بين الاعمال التي أنتجها فيلسوفنا والتي كانت كالمرآة العاكسة لأفكاره في المجال العلمي عامة والفلسفي خاصة نذكر أهمها:

أهم مؤلفاته:

1-قواعد لهداية العقل: هذا الكتاب عنوان لمنهج جديد تم وضعه من قبل ديكارت حاول من خلاله التوصل الى الدقة واليقين الموجود في العلوم الرياضية، والذي ألّفه في سنة 1628م ولم ينشر الاّ بعد وفاته.

2-العالم او كتاب النور: وهو عنوان رسالته، تراجع عن نشرها بسبب سماعه عن ادانة جاليليو وذلك لأنّ مضمونها كان يدعو الى المذهب الكوبرنيكي، ألفه في بداية الستينات من القرن 17م[3].

3-مقالات في موضوعات فيزيقية رياضية، أتبعها ب «مقال في المنهج "[4].

4-تأملات في الفلسفة الأولى 1641م.

5-مبادئ الفلسفة: هذا الكتاب صدر عام 1644م، يفسّر فيه أصل الكون والأشياء بالرجوع الى المادة[5].

-ومن المؤلفات التي أنتجها في حقل علم النّفس نذكر: انفعالات النفس وهو اخر مؤلفاته الذي صدر عام 1644، يحتوي على أرائه في النفس[1].

---

[1] فؤاد كامل واخرون: الموسوعة الفلسفة المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1، ص 189-190.

[2] زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1 ص189.

[3] فؤاد كامل واخرون، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] دليل أكسفورد: دليل أكسفورد، المكتب الوطني للبحث والنشر، تر: نجيب الحصادي، ليبيا، ص 367.

[5] فؤاد كامل واخرون، المرجع نفسه ص 368.

الارهاصات الأولى للفلسفة الديكارتية:

على اعتبار أنّ التاريخ هو سلسلة متواصلة من الأحداث على مرّ العصور، حيث انّه لكل حقبة ما يميزها ويؤثر بالضرورة في فكر الحقبة التي تليها، وبالنسبة للفلسفة الديكارتية فقد سبقها العصر الوسيط كونها أتت في العصر الحديث، ومما لا شك فيه أنّ الفلسفة في العصور الوسطى، والتي كانت زمنيا ممتدة ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ميلادي، كانت عبارة عن منعطف حاسم لمجرى تاريخ الفكر الفلسفي والدّيني ومختلف المجالات الأخرى.

امّا العصر الحديث انطلاقا من القرن السادس عشر الى غاية القرن التاسع عشر ميلادي، كان بمثابة الصحوة التي عرفها الشعب، فهو عصر النور والتطور في شتى الميادين العلمية والفلسفية، والتي لم يكن لها مثيل في القرون التي سبقته. وطبعا هاته الاستفاقة لم تكن من العدم، بل كانت تحت تأثير عدت عوامل والتي بالضرورة كانت نفس العوامل التي ساهمت في نبوغ الفكر الديكارتي وهي كالتالي:

-حركة النهضة الأوربية.

-حركة الإصلاح الدّيني.

-نشأة العلم وظهور الفلسفة الحديثة.

هذه المحطات كان لها الدور الفعّال في تأصيل الفكر الحديث عامة والديكارتي على وجه الخصوص.

1-حركة النهضة الاوربية:

عصر النهضة يمثل حركة فكرية نشأة أولا في إيطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي، يتسم بالاهتمام بالأدب والفن الكلاسيكي (التقليدي) ويهتم بالنشاط الفكري والذهني (العقلي)والعلمي الفني، اذن فترة في التاريخ الأوربي من القرن الرابع عشر الى السادس عشر ميلادي ازدهرت خلالها الأنشطة الفكرية والفنية وهي من اللفظ الفرنسي Renaissanceبمعنى إعادة الولادة Rebirthوالتجديد Renewal ...[2]. اذا يتضح لنا انّ عصر النهضة الاوروبية كان من العوامل الأساسية في احداث النقلة الفكرية في الفلسفة الحديثة، حيث أنّ اوروبا كانت تعاني من سيطرة الكنيسة ورجالها على مختلف نواحي الحياة من سياسة دين، ثقافة وعلم ....الخ، وقد مارست كل طرق الاخضاع لأوامرها دون مناقشة , متجاوزة القيّم الإنسانية والحرية الفكرية للفرد ,منتهجة أسلوب التبعية وتجميد العقول, أي انّها رفضت العلم وتجاوزت القيّم الإنسانية, ومنعت حرية التفكير والرأي، كان لها الدور في

[1] فؤاد كامل واخرون المرجع نفسه الصفحة نفسها

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية , 2001م ص45.

تضليل الشعب في أمور الدّين والدنيا، حيث قامت بتمويههم ففكرة الغفران عن طريق بيعهم لصكوكها على أساس الخلاص من الذنوب، وفي نفس الوقت كان للعلماء ما يعرقل جهودهم من طرفها، حيث انّهم يقتلون اذا ما حاولوا الاتيان بالجديد في حقل المعرفة والعلم، ومن أبرز هؤلاء نذكر غاليلي غاليليو الذي قتل على يد الكنيسة، وهذا هو واقع أوروبا الى أن اتى القرن 14 م اين كانت النهضة في جميع المجالات، حينها عاش الشعب الأوربي تحولات جذرية عاكسة للحياة التي سبقت عليه، فانتشرت الحرية الفكرية وكذا الدينية و الاجتماعية و أيضا الأخلاقية، لكن هذا لم يأتي بالأفضلية بشكل مطلق بل انتشر أيضا الفساد حيث تم فتح الملاهي و المتاجرة بالنساء , وعليه يمكن القول :" **انّ عصر النهضة هو الذي يمثل فترة الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة**" [1]. وقد كان للنهضة الدور الأهم في احداث التغيرات العميقة في المجتمع الأوروبي، فقد اكدت على الحرية الفردية وقداستها، ولكن الامر تطور من نقد كامل للحرية الى النقيض .... حرية لا تعرف الحدود واستعانة بالآداب ...وضعف الوازع الديني بسبب ما وصل اليه رجل الدين من تدهور ...والى انتشار الفساد وتدهور المعايير الأخلاقية. ومن خلال هذه النهضة تأسس ما يطلق عليه بالعلمانية أي فصل الدين عن الدولة، حيث ان الشعب تخلى عن سيطرة الباب في شؤونه.

ويمكن تقسيم هذه النهضة الى معالم رئيسية كالتالي:

ا ـ النهضة في إيطاليا:

لقد كانت إيطاليا أول الدول الأوروبية التي عرفت النهضة وهذا لعدة أسباب أهمها: الرخاء الاقتصادي الذي تتمتع به وأيضا كونها مركز للديانة المسيحية، ومما لا يمكن تغافله هو انها كانت نقطة وصل بين أوروبا والبحر الأبيض المتوسط.

ومن أبرز الفلاسفة الذين طالبوا بالفكر التحرري نذكر:

ـ نيكولو دي برناردو دي مكيافيلي 1469-1527 المولود بفلورنسا والمتوفي بها، كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا، مؤسس التنظير السياسي الواقعي والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي اشهر كتبه على الاطلاق كتاب الأمير، والذي كان عملا هدف مكيافيلي من خلاله طرح نصائح للحكام وقد نشر الكتاب بعد وفاته ، وأكد فيه ان ما هو مفيد فهو ضروري، اشتهر بمقولة " الغاية تبرر الوسيلة"، أكد على ان **الحاكم او الأمير حر من كل المبادئ الإنسانية و الاعتبارات الدينية، حر من القوانين حتى انه يبيح استخدام الظلم و العداوة في سبيل تحقيق الوحدة** [2]، وقد نصح ميكيافيلي **الناس بنبذ الكنيسة ومعتقداتها نتيجة لما شاع عنهم من سوء البابا و القساوسة و البعد عن الدين بعدا عن اعين الناس**[3]. حيث انّ الكنيسة كانت تستغل سلطتها لتفرض اوامرها على الشعب، وفي نفس الوقت تمنعهم

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الحديثة، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة, 1959م، ص285-286.

[2] مهدي فضل الله: المرجع السابق، ص 63.

[3] عبد العزيز سليمان نوار، محمود جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي النصر, 1999م، ص24.

من التأمل والتدبر. وهذا ما جمد العقول وتدهور الوضع المعرفي، وسبب انتشار الجهل والتخلف آنذاك.

ب ـ النهضة خارج إيطاليا:

وهنا اتضح للأوربيين أنّ قداستهم مجرد أوهام ولابد من الابتعاد عنها وتم هذا **مع انطلاق القرن 15م حيث انتشرت وشاعت ثورة إيطالية على الكنيسة ومبادئها وعلى الفلسفة المدرسية والمنطق الصوري، فنجد ان هذا الأساس تبنته فرنسا والمانيا وبريطانيا وغيرها من دول أوروبا، كما حاربوا النظام الاقطاعي الذي كان يدعمه اباء الكنائس[1].**

ومن أبرز اعلامها نذكر:

ـ فرانسيس بيكون 1561-1626: فيلسوف ورجل دولة وكاتب انجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على الملاحظة والتجريب، من الرواد الذين انتبهوا الى عدم جدوى المنطق الارسطي الذي يعتمد على القياس، وضع المنهج الاستقرائي الذي لا يمكن الاستغناء عنه ليومنا هذا وقد أكد بيكون انه للوصل الى علم يقيني وجب التخلص من الاصنام المعرفية التي تسيطر على تفكيرنا، وهذه الاصنام ذكرها كالتالي:

أ ـ أوهام القبيلة: وهذه تتمثل في الاعتماد على الحواس في بناء المعرفة، أي الثقة كل الثقة في الحواس.

ب ـ أوهام الكهف: وهنا يتكلم عن التكوين الاجتماعي والثقافي للفرد الذي يقف بينه وبين البحث عن المعرفة، فبالمكان للأعراف والتقاليد المتداولة في مجتمع معين ان تقف كحاجز يمتنع الفرد من الابداع في حقل العلم.

ج ـ أوهام السوق: وهنا يتكلم عن اللغة التي توقعنا في الأخطاء كونها تخدعنا، فهي أوهام مرتبطة بالتواصل المجتمعي، وتنشا في تواصل الناس واجتماعاتهم، فتغرس مسلمات تسللت الى ذهن الفرد عن طريق تداولها باستمرار ليسلم بصحتها. ومثال ذلك قولنا برتقال عسل.

د ـ أوهام المسرح: الإرث الثقافي والديني حين يقدس يكون كالحاجز الذي يحدد مستوى تفكيرنا ولا يمكن تجاوزه، أي الأيديولوجيات التي ترسخت في ذهن أي فرد وجمدت تفكيره. أي أنها تلك الأفكار التي انتقلت الينا من المفكرين والفلاسفة، ونتلاقاها دون تمحيص، وهذا ما دفع ببيكون أنّ ينبهنا الى استعمال العقل النقدي أكثر من النقلي لتفادي تتبع الأفكار الخاطئة الراسخة في عقول الافراد منذ القدم.

2 ـ حركة الإصلاح الديني:

من التغيرات الجديرة بالاهتمام في عصر النهضة هو الظهور الأوروبي بصبغة جديدة منافي لما كان سائدا من قبل واهم عامل ... هو الحرية ... ما دفع الى دخول هذا المصطلح

[1] مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت ومنهجه، ص 66.

مجال الدين[1]، وعليه يمكن اعتبار أنّ حركة الإصلاح ثاني نقطة بعد النهضة الأوروبية والتي كان لها الأثر الكبير في تغيير جملة من التعاليم السائدة آنذاك، وقد كان مارتن لوثر من أ برز الثائرين على نظام الكنيسة حيث **ابان لوثر ان مثل هذه الأمور ما هي الا خرافات لا أساس لها من الصحة ، فضلا على انها بدع مرفوضة**[2]، ومن ابرز خصائص هذه المرحلة ظهور البروتستانتية بدلا للمسيحية، وكذا سير التيار الإصلاحي وفقا لتيارين أساسيين هما " **الأول يرمي الى اصلاح المجتمع على أساس التمسك بتعاليم الدين مثل هذا التجاه الراهب جيروم سافونا . الثاني: يرمي الى اصلاح المجتمع دون التمسك بالاعتبارات الدينية وغيرها مثل هذا الاتجاه نيكولا ميكيافيلي**[3].

وعليه نستنتج ان هذا الأخير له توجهين هما: مراعاة التمسك بالدين وكذا فصله عن الدولة وتبقى الحرية هي المطلب الأساس لكل هذا.

3 ـ نشأة العلم وظهور الفلسفة الحديثة:

بعد التخلص من سلطان الكنيسة ظهر جملة من العلماء الذين كانت لهم الفرصة للإبداع والتألق في المجال العلمي انطلاقا من انتهاجهم للمنهج العلمي الذي اعتمد عليه تفاديا للأخطاء والمغالطات وبلوغ اليقين، كونه منهج له خطوات ثابتة ويقينية وهي ما يلي: **الملاحظة، فرض الفروض، اجراء التجارب لاستبعاد ما يثبت أخطاء، ما يثبت صحته منها يصبح أساسا للنظريات العلمية إذا النظرية العلمية تصبح صحيحة طالما لم يثبت عكسها، لكنها على كل حال قابلة للتعديل حسب ما تثبت عكسها لكنها على حال قابلة للتعديل حسب ما يثبت التطبيق من صحتها او عدمه ...**[4]. وتطور استخدام هذا المنهج من مجال العلوم الطبيعية الى العلوم الإنسانية، ومثال ذلك في علم النفس مع كتاب الإرادة الجديدة لفرانسيس بيكون، إضافة الى كل هذا نجد ان هذه الفترة عرفت جملة من الترجمات للفلسفات التي سبقت، ومن أبرز زعماء هذا العصر:

ـ كوبرنيك 1473-1543م:

راهب وفيلسوف ورياضي وفلكي وطبيب واداري ودبلوماسي وجندي بولندي كان أحد أعظم علماء عصره. يعتبر اول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرما يدور في فلكها في كتابه " حول دوران الاجرام السماوية. وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعد مؤسس علم الفلك الحديث، الذي ينتمي لعصر النهضة الأوروبية 1400م -1600 م.

---

[1] شوقي عطى الله، عبد الله عبد الرزاق: تاريخ أوروبا، المرجع السابق، ص 23-24.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص54.

[3] شوقي الجمل: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ,2000م، ص25.

[4] شوقي عطى الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا، المرجع السابق، ص19.

غاليلي غاليليو 1564-1642 م:

عالم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي. ولد في بيزا في إيطاليا. بوصف في بعض الأحيان بالعلامة، نشر نظرية مركزية الشمس والتي جاء بها كوبنيكوس ودافع عنها بقوة على أسس فيزيائية، قام أولا بإثبات خطا نظرية ارسطو حول الحركة، سالكا من اجل ذلك طريق الملاحظة والتجربة.

المبحث الثاني: المنظومة الفكرية الديكارتية

1/ نظرية المعرفة عند ديكارت:

يندرج تحت هذا العنوان عدة عناصر سنعرضها كالتالي:

*** الشك المنهجي:**

انّ الشك عند ديكارت كان شكا منهجيا يمرّ بخطوات منتظمة، هدفه بلوغ اليقين وليس شكا من أجل الشك كما هو الحال عند النزعة اللاأدرية، وعليه فانّ الشك عند ديكارت يعتبر نقطة فيصلية لبناء أي معرفة صحيحة ويقينية، كونه يضع أي فكرة موضع الشك والريب للتحقق من مصدقيتها، ويمكن لنا عرض نظرية المعرفة عند ديكارت عن طريق رصدنا لخطوات الشك الديكارتي التالية:

أ ـ الشك في الحواس:

لقد صرح ديكارت بشكه في الحواس ورفض بالإطلاق ان تكون مصدرا للمعرفة وللحقيقة، وهذا كومها تخدعنا وتظللنا في غالبية الأوقات من بلوغ الحقيقة، ومثال ذلك ان العصى في كوب ماء تبدو لنا للوهلة الأولى انها منكسرة لكنها في الحقيقة لا تشكو من أي ضرر، وأيضا الشمس تبدو لنا بحجم القرص لكن الواقع يؤكد انها أكبر من كوكب الأرض .... الخ من الأمثلة التي تثبت لنا أنّ المعرفة الحسية ليست معرفة يقينية، وهذا ما دفع ديكارت الى القول:" **كل ما تلقيته حتى الان على انه اصدق الأمور واوثقها، تلقيته بالحواس غير أنى وجدتها خادعة ومن الحكمة الا نطمئن الى من يخدعنا ولو لمرة واحدة** "[1].

ب ـ الشك في المعرفة العقلية:

لم يتوقف الشك عند ديكارت في الحواس فقط بل امتد الى العقل والمعرفة العقلية، وهذا من منطلق وجود شيطان ماكر يظللنا في كل مرة ويمنعنا من بلوغ الحقيقة حتى في ابسط الأمور واوضحها وقد قيل في هذا الصدد:" لم يكتفي بالشك في الحساب بل شك أيضا في العقليات نفسها، اذ لاحظ ان من يحسبون أنفسهم اعلم الناس بأمر ما من الأمور قد يخطئون فيه أيضا، حتى قد افترض ان شيطان ماكرا يعبث بكل الروابط العقلية الصرفة بين المعاني والأفكار[2].

[1] رونيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، تر: كمال الحاج، منشورات دويرات، بيروت ط 4 , 1988، ص14.

[2] مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط 1996، ص 90

وبعد ما شك ديكارت في المعرفة العقلية ذهب الى النظر في الاحلام والمعرفة الحاصلة عن طريقها ووضعها هي الأخرى موضوع الشك لان ما نراه في الاحلام على انه حقيقة نستبعدها في اليقظة ومدرك انها مجرد أوقات عابرة لا يقين فيها، " **هكذا شكك ديكارت .... كذلك في المعرفة المتأنية من عالم اليقظة، وعالم الاحلام على حد سواء ...**".

ج ـ الشك في العلوم والأفكار المركبة:

يقول ديكارت:" **انّ علوم الطبيعة، الفلك والطب وسائر العلوم الأخرى التي تدور على الأشياء المركبة هي عرضة للشك قوي، ان الثقة بها قليلة** "[1]. أي ان الشك الديكارتي امتد الى العلوم كغيرها من الأمور والمعارف التي استوجب التحقق من مصدقيتها، وهنا يظهر لنا جليا تأثره العميق بالرياضيات والهندسة.

انّ النسق الصحيح في المعرفة حسب ديكارت، ينطلق من الأفكار البسيطة والواضحة، لهذا نجده شكك في العلوم التي تقوم على الأفكار الغامضة بل ان الشك والريب بها كبير، لكن ما يرتبط بعلوم الهندسة والرياضيات فلا مجال للشك فيها كونها تنطلق من البديهيات والأمور البسيطة الواضحة مما يسهل علىالعقل تصديقها وهذا ما جعله يقول:" **اما الحساب والهندسة وما شاكلها من العلوم، التي لا تنظر الا في أمور بسيطة جدا وخاصة جدا، دون اهتمام كبير بمبلغ تحقق**

الأمور في الخارج او عدم تحققها فهي تحتوي على شيء يقيني لا شك فيه "[2].

وعليه يمكننا القول أنّ ما أراد ديكارت تأكيده هو ان 2+2 تساوي 4 بلا شك، وان المثلث يحتوي على ثلاث اضلاع ولا سبيل لإضافة ضلع اخر، وهذه الأفكار ثابته لا تتغير عبر الزمان والمكان، صادقة ولا مجال للريب فيها، وهنا انتهت موجة الشك الديكارتي التي مست كل شيء الى الانتهاء به الى الشك في وجوده، وهذا لإيمانه بوجود شيطان ماكر يتلاعب بفكرة وجوده، ومن ثم قال:" **ماذا يكون الحال لو ان فكرة وجودي نفسها لم تكن الا من اضاليل ذلك الشيطان** "[3]. وهنا انتقل ديكارت من في وسائل المعرفة والفيزيقا الى الميتافيزيقا بافتراضه لوجود هذا الشيطان الذي يعبث بالحقائق والذي له القدرة على جعل الصدق كذبا والعكس. وقد ذكر بعض شارحوا فلسفة ديكارت ان افتراض وجود شيطان لم يكن سوى تطور درامي للأحداث وغالبا ما يقاربون بين فكرة افتراض وجود شيطان والعقدة الدرامية للأحداث، كما ان للشيطان طبيعة غير مادية واراد هنا ديكارت الانتقال الى الميتافيزيقا مقابل

---

[1] رونيه ديكارت: المصدر السابق، ص 15.

[2] نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والاحلاق عند ديكارت، المطبعة الفلسفية الحديثة، القاهرة , 2003م، ص 80.

[3] رونيه ديكارت، المصدر السابق، ص 15.

الانسان ذي الجسد المادي، فكان لابد من وجود قوة شريرة والتي مثلها ديكارت بالشيطان الماكر.

د ـ الله مصدر الكمال والحقائق المطلقة:

يعد دليل الكمال الدليل الأول الذي قام ديكارت بصياغته، وذلك للبرهنة على وجود الله، ويبدأ ديكارت صياغته من خلال تمييزه بين نوعين من الوجود : الوجود الموضوعي والوجود الفعلي أو الواقعي ويرتبط الوجود الفعلي بعالم المحسوسات المرئي، اما الوجود الموضوعي فهو الوجود الذي يتمتع بصفة الكمال كما يؤكد ديكارت على ان من يتمتع بصفة الكمال هو الله وحده، وقام باستنتاج صفة الكمال من خلال صفة مضادة لها وهي صفة النقص التي يتصف بها الانسان لأنه كائن ناقص يبحث عن حقيقة ويمارس عملية الشك , واذا كان الانسان كائنا ناقصا , فلابد من وجود صفة الكمال , ويستنتج من ذلك انه لابد من وجود كائن يتمتع بهذه الصفة والبرهان الديكارتي على الوجود الالاهي يستند على نحو رئيس الى مبدا العلة الكافية، فالأفكار الموجودة في ذهن الانسان عن الكمال واللامتناهي والقدرة الكاملة يجب ان تكون لها علة كافية لحضورها في ذهن الانسان، الكائن الكامل هو نفسه السبب الكافي لظهور فكرة الكمال في ذهن الانسان.

وعليه فان فكرة الكمال مرتبطة بالذات الالاهية وحدها دون غيرها، لهذا نجده يقول:" **الله هو الجوهر الذي يدرك انه كامل الكمال الأسمى والذي لا نتصور فيه أي شيء يتضمن أي نقص او حد للكمال** "[1]. فالله عند ديكارت هو الحقيقة الأولى والمصدر الأول لكل الحقائق والمعارف.

*** المعرفة عند ديكارت:**

أسّس ديكارت المعرفة على أساس يقيني لا يمكن الشك فيه وهذا عن طريق تفريغ العقل البشري من كل العلوم التي تلقاها ليبدأ في تشكيل معارف جديدة يقينية وثابتة لا تتغير عبر الزمان والمكان، ومما لا يمكن التغافل عنه هو ان المعرفة عند ديكارت قائمة على عنصرين أساسيين هما : الذات العارفة أي الشاكة التي تركز اهتماها على الفكر والعنصر الثاني هو الموضوع المعرف والذي ينضم ضمن المبادئ الفطرية و المكتسبات السابقة التي تلقاها الفرد في مسيرته المعرفية، وهنا قال ديكارت :" **لقد درس ديكارت هذه المعرفة انطلاقا من العنصرين المكونين : أـ الذات العارفة , مملكاتها الأربعة (الفهم , المخيلة , الحواس و الذاكرة) ب ـ الموضوع المعرف , أي المعطيات الفطرية او الطبائع البسيطة المعروفة بديهيا وطريقة معرفة سيئا من شيء اخر** "[2], وعليه يمكننا القول ان المعرفة الديكارتية بهذا الشكل تجمع بين الذات الباحثة التي تنتهج العقل و مختلف وسائل البحث والموضوع المدروس الذي يستدعي الأفكار الفطرية التي تساعدنا على ادراك العالم الخارجي .

---

[1] نظمي لوقا: الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت، المرجع السابق، ص 69.

[2] رونيه ديكارت: العالم او النور، اميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت، ط 1, 1999، ص9.

*** الثنائية الديكارتية: dualisme**

تعد الثنائية الديكارتية أشهر اطروحات روني ديكارت، وتقوم الفكرة على تقسيم العالم الى نوعين من الكينونات هما: الجواهر الذهنية mental substancesوالجواهر الفيزيائية او المادية physical substances جوهر الذهني هو الوعي و التفكير و جوهر جسمي هو الامتداد في المكاني ثلاثي الابعاد وقد اقام ديكارت هذه الثنائية على عدة حجج أهمه : حجة المعقولية conceivability argument التي رأى بموجبها أنه بإمكانه أن يدرك بوضوح وجلاء إمكانية وجوده دون جسد وهكذا إذا امكنه أن يتخيل وجوده غير المتجسد في أي مادة لا يمكنه أن يكون هو وجسده الشيء ذاته وحجة الشفافية transparency argument وفقا لهذه الحجة، الذهن شفاف بمعنى اذا كان ذهني شفاف بالنسبة الي فهذا يعني انه لا يمكن ان يكون ثمة شيئا ما في ذهني دون ان ألاحظ وجوده هناك ' أما جسدي فليس شفافا بالنسبة الي بالطريقة ذاتها وهكذا لا يكون ذهني وجسدي متماثلين أي انهما لا يكونان شيئا واحدا. ومن هنا نفهم ان ديكارت كان يمشي عكس أنصار الواحدية الذين يردون الوجود اما للمادة وحدها او للروح فقط، في حين ديكارت أقر بالاثنين معا أي التأكيد على المادة والروح في تفسيره لفكرة الوجود، وهذا بإبراز التمايز الجوهري بينهما حيث أن الروح حسبه تقودنا دائما الى المطلق والمفاهيم الثابتة اليقينية على عكس المادة التي تقوم على التغير والنسبية وهنا قيل:" **عرف ديكارت بانه فيلسوف ثنائي، وهذا يعني انه يعتقد في ثنائية الروح والمادة، أي عدم إمكانية رد الروح الى المادة او رد المادة الى الروح، فلكل منها طبيعته المستعملة المتمايزة** "[1].

وعليه نؤكد ان رونيه ديكارت كان من اهم القائلين بفكره ثنائية الروح والجسد في الفكر الفلسفي الحديث، فهو على يقين بان لكل عنصر منهما خاصيته التي يمتاز بها وليس من المنطقي الربط او الجمع بينها، فالروح ليست كالمادة أي كالجسد، والجسد له سماته التي يمتاز بها على الروح وهي الجانب المادي الملموس.

2/ الكوجيطو الديكارتي:

الكوجيطو هو لفظ يوناني يعني أفكر، وفيه الإشارة الى قول الفيلسوف ديكرا: انا أفكر، إذا انا موجود "، ومعناه اثبات وجود النفس من جهة كونها موجودا مفكرا والاستدلال على وجودها بفعلها المتمثل في الفكر، ان فكرة الكوجيطو التي أتى بها ديكارت كانت تؤكد انه مهما بلغ الشك مبلغا ومهما كانت قدرة الشيطان الماكر، فانه لا يمكن ان يجعل الانسان عدما ، فما دام الانسان يفكر فلا بد من ان يكون موجودا وهذا هو الكوجيطو الذي يرتبط بمفهوم الشخص في الفلسفة الديكارتية، والمقصود به :" انا افكر اذا انا موجود " ويشبه ديكارت عملية الشك بإعادة ترتيب فاكهة التفاح في سلة ، بعدما تم إخراجها منها، وذلك لتمييز التفاح الجيد فقط ، والقصد منها ان على الانسان أن يفرغ عقله من كل المعارف ويشك فيها وعندما يبدا

[1] عبد الوهاب جعفر، أضواء على الفلسفة الديكارتية، الفتح للطباعة والنشر، الإسكندرية , 2003، ص 38.

بترتيبها لا يثق الا بالمعارف التي اختبرها وتأكد من صحتها .وعليه فان محاولة ديكارت ان يشك بانه موجود . تفترض أولا ان يسلم تسليما بانه يشك بالفعل، فهكذا يضمن أنه موجود بالفعل، وهذا من خلال انه يشك، لكن يجب الا نفهم ان كوجيطو ديكارت مجرد مقياس اضمرت مقدمته الكبرى على غرار المنطق الارسطي كالتالي: كل مفكر موجود، وانا أفكر، إذا انا موجود. اذ يوضح ديكارت ان الكوجيطو قائم على حركة بسيطة للتفكير، تعرف بالحدس المباشر اذ ان القول " انا أفكر " او " انا اشك " يتضمن مباشرة بشكل حدسي " انا موجود ". إذا من هو الذي يفكر ويشك، إذا ازلنا " انا موجود؟ " .

- ما عساي أن أكون؟

ثم يسال ديكارت: ما عساي ان أكون؟ فيجيب: انا شيء يفكر، أعنى شيئا يشك ويفهم ويتصور، وينكر ويريد ويشعر ويرفض ويتخيل، والشيء الذي يفعل كل ذلك لابد ان يكون نفسا أي جوهرا روحيا يكون التفكير صفته الأساسية، فلا وجود للأفكار بدون مفكر، ولا يمكن لصفة مثل التفكير ان توجد، إذا لم يكن هناك جوهرا يلازمها، او تحمل عليه صفة التفكير.

وهنا، لابد ان نعرف مفهوم ديكارت عن الجوهر، اذ يقول ديكارت انه عندما نتصور الجوهر نتصور موجودا غير محتاج في وجوده الى شيء اخر غير نفسه أي واجب الوجود في التعبير القرون الوسطى والإسلامي، وليس هناك في الحقيقة جوهر له مثل هذه الصفة غير الله، لذلك حق الفلاسفة الاكسولائيين ان يقولوا ان إطلاق لفظ الجوهر على الله والمخلوقات، لا يكون على سبيل الاشتراك والتواطؤ لكن لما كان من طبيعة الأشياء المخلوقة ألا توجد الا مضافة إلى غيرها فكان من الضروري تمييزها عن الأشياء الأخرى التي لا تحتاج وجودها الا الى مشيئة الله وتتصف بهذا حسب ديكارت النفس أي جوهر روحي فينا.

وهكذا يكون ديكارت قد اثبت يقين وجوده الخاص أي وجود ذاته، عن طريق عدم امكان الشك بهذا الوجود لان الشك فيه، أي انه لم يستطع ان يثبت انه ليس موجود وهو موجود، ووجوده يتمثل في كونه ذاتا عاقلة متأملة تمارس التفكير النقدي، وتحاول بلوغ اليقين، يعني تأكيده وتقريره وهذا الشيء هو الذي لا يمكن الشك فيه.

3/ اسس وقاعد المنهج الديكارتي:

المنهج عند ديكارت هو مجموعة من الخطوات الواضحة والبينة، وضعها ديكارت في منهجه الشكي، الهدف من ورائها هو الوصول الى تلك الحقائق اليقينية والثابتة وحصد سبيل الرشاد، وحفظ لأفكارنا من التناقض ومراعات عدم الوقوع في المغالطات. وهنا يقول:" **المنهج هو عبارة عن قواعد مؤكدة بسيطة إذا راعاها الانسان مراعاة دقيقة، كان في مأمن من ان يحسب صوابا هو خطا،**[1] أي الابتعاد عن كل ما من شانه ان يوقعنا في الخطأ،

[1] رونيه ديكارت: قواعد لهداية العقل، تر: سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس , 2001م، ص371.

ولهذا المنهج حسب ديكارت أسس نعتمدها من اجل الوصول الى اليقين ومن بين هذه الأسس نذكر:

أسس المنهج الديكارتي:

أ ـ البداهة: evident

لغة: من البديهة أي المفاجأة، نقول فلان صاحب بداهة أي يصيب الراي في اول ما يفاجأ به.

اصطلاحا: هو ان لا يتوقف حصوله في الذهن على نظر او كسب[1]. أي استيعاب الذهن للأفكار بمجرد تلقيه دون عناء التأمل والتدبر. فلا يمكن ان نتدبر في امر يصل الى اذهاننا تلقائيا، من دون ان نفكر مليا ونعمل عقولنا في ذلك.

ـ عند ديكارت:" **الواضح ما يكون ماثلا وظاهرا امام الذهن، بحيث لا يقبل الشك محال وهو أحد شقي اليقين** "[2]. وبالتالي فالأفكار والقضايا الواضحة لا تحتاج منا الى برهان للإثبات صحتها، وهي محل اتفاق بين جميع الناس، وفي هذا الصدد يقول ديكارت:" **ينبغي الا اقبل شيء على انه حق ما لم يتبين بالبداهة على انه كذلك** "/4/، وعليه فالأمر البديهي لا اختلاف في امره وهو ليس محل التشكيك، ومثال ذلك قولنا: الكل أكبر من الجزء.

ميز ديكارت بين الحدس والامر البديهي على اعتبار ان الحدس يتطلب السرعة في الزمن في حين ان البداهة لا تتطلب ذلك الزمان ان قصر او طال وهنا يقول:" **ان البداهة الديكارتية تختلف عن الحدس، والحدس عند المناطقة .... معناه سرعة الانتقال من الأشياء المعلومة الى الأشياء المجهولة، في حين ان البداهة لا تحتاج الزمن مهما قصر** "[3].

وقد ميز أيضا بين البداهة والخيال على اعتبار ان الخيال احكامه تختلف من شخص لأخر على عكس البديهي الذي يتفق فيه جميع الناس.

وعليه فالبداهة تتميز حسبه بخاصيتين هما: الوضوح والتميز وهذا استنادا لقوله:" **أنى قادر .... على تقرير هذه القاعدة العامة وهي ان الأشياء التي نتفهمها بوضوح تام وتمييز تام، هي صحيحة كلها**"[4]. أي كل ما نتلقاه بوضوح وتميز هو حقيقي لا مجال للشك في معطياته ولا مجال للبرهنة عليه

ومنه تكمن خصائص البداهة فيما يلي:

---

[1] رونيه ديكارت: قواعد لهداية العقل، تر: سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس , 2001، ص 371.

[2] رونيه ديكارت: مقال عن الطريقة، تر: محمود محمد الخضيري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة, 1968، ص95.

[3] مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، ص 1054) رونيه ديكارت: المصدر نفسه، ص66

[4] مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت ومنهجه، ص 105.

ـ الوضوح clarité:

الوضوح عكس الغموض واللبس، وعليه فالأفكار الواضحة هي الأفكار التي لا تحتاج الى تفسير.

الوضح حسب ديكارت هو:" **إني أطلق اسم الفكرة الواضحة على الفكرة الحاضرة المتخيلة لذهن منتبه بحيث لا يمكن وضع حقيقتها موضع الشك** "[1] وعليه فالوضوح يقابل اليقين.

ـ التمييز :distinction

الفكرة المتميزة هي الفكرة التي تتميز بخصائص وصفات لا يتميز بها غيرها من الأفكار، أي لا يمكن لنا ان نخلط بينها وبين فكرة أخرى فكما قال ديكارت:" **اما الفكرة المتميزة فهي الفكرة التي بلغ من وضوحها ودقتها واختلافها عن كل ما عاداها انها لا تحتوي في ذاتها الا ما يبدو بجلاء لمن فيها كما ينبغي** "[2].

ب ـ الاستنباط :déduction

ونعني به انتقال الذهن من قضية او عدة قضايا هي المقدمة الى قضية أخرى هي النتيجة، وليس من اللازم ان يكون هذا الانتقال من الكلي الى الجزئي , يقابله المنهج الاستقرائي الذي ينتقل فيه العقل من الظواهر الى القوانين , وأوضح صورة للاستنباط البرهنة الرياضية التي يتم فيها الانتقال من الشيء الى ما يساويه كقولنا : 1+1 = 2 .

الاستنباط عند ديكارت هو الانتقال من فكرة حدسية الي نتيجة تصدر عنها صدورا مباشرا، أي دون تصور أي نقيض او تناقض او تعارض مثل ما هو عليه المنهج الجدلي، ومن ثم تكون النتائج المستنبطة حدسية. والاستنباط عنده اقل ثقة من البداهة كما انه قد يكون عرضة للشك والريب وهنا نجده يقول:" **ان الاستنباط اقل مرتبة من البداهة، فالفكرة البديهية لا تثير أدني شك في صدقها، أما الفكرة المستنبطة فيمكن الشك فيها** "[3].

*وعليه يمكننا القول ان المنهج الديكارتي يقوم على جملة من الأسس التي إذا ما تتبعناها عصمنا ذلك حسب ديكارت من الوقوع في الغموض أو الخطأ، وكل هذا ما هو الى من اجل تحصيل المعارف اليقينية والثابتة التي لا تتغير عبر الزمان ولا المكان، ولا يتوقف الأمر على الأسس فحسب بل هنالك جملة من القواعد التي ارتكز عليها المنهج عند ديكارت، والتي هي الأخرى تعتبر الركيزة الأساسية في منهجه مثلها مثل الأسس التي تم تناولها في العصر السابق. هاته القواعد سنتناولها في العنصر التالي من البحث.

قواعد المنهج الديكارتي:

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت , 1982م، ص 551

[2] جميل صليبا: المرجع السابق، ص 551.

[3] مهدي فضل الله: المرجع السابق ص 107

يقوم المنهج لدى ديكارت على جملة من القواعد وهي:

1 ـ قاعدة البداهة والوضوح:clarité et evident:

هنا يقول ديكارت:" **الا اقبل شيئا على انه حق، ما لم اعرف يقينا انه كذلك، بمعنى ان اتجنب بعناية**

التهور والسبق الى الحكم قبل النظر، والا ادخل في احكامي الا ما يتمثل امام عقلي في جلاء وتمييز"[1]. ومن هنا نتأكد بان البديهي هو المرتجل وهو ما يفهم او يدرك بالفطرة , الضروري في نظر العقل , ومنه فالبديهي هو الامر الواضح الذي لا يحتاج الى برهان او تفسير لأنه لا ينتابه الغموض و الالتباس ولا يختلف فيه اثنان , وهنا يتبين تأثر ديكارت بالرياضيات لاستنباطه هذه القاعدة منها , ويرى الكثير من الباحثين في فلسفة ديكارت ان هذه القاعدة ترى انه يجب علينا ان لا نقبل الأفكار الا ما هو واضح وجلي وصادر عن البداهة العقلية ونور العقل الفطري , وتطالبا أيضا في الوقت نفسه بان نتخلص من الآراء السابقة وان نبذل قصارى جهدنا لاجتناب التحيز و التسرع في اصدار الاحكام .

2 ـ قاعدة التحليل: analyse

التحليل هو **منهج عام يراد به تقسيم الكل الى اجزائه ورد الشيء الى عناصره المكونة له**[2].

في هذه القاعدة يقول ديكارت:" **ينحصر المنهج بأجمعه، في ان نرتب وننظم الأشياء التي ينبغي توجيه العقل اليها لاكتشاف بعض الحقائق ونحن نتبع هذا المنهج خطوة خطوة إذا حولنا بالتدريج القضايا الغامضة المبهمة الى قضايا ابسط، وإذا بدانا من الادراك البديهي لأبسط الأشياء كلها فأننا نجتهد ان نرقى بنفس الدرجات الى معرفة سائر الأشياء"**[3]. ومن هنا يرى ديكارت انه كل مشكلة نقوم بدراستها هي مشكلة مركبة وذات جوانب متعددة ومن ثم فعند التصدي لدراسة أي مسالة او عند حل أي مشكلة يجب علينا ان نقوم بتحليل المشكلات وتقسيمها بقدر ما نستطيع وبقدر ما تسمح به طبيعة كل مشكلة، وذلك لحلها على أفضل وجه ممكن، وليس الغرض من القسمة والتحليل تفتيت المشكلة وحل على جزء منها على حدة، لكن يبقى الغرض الأساس منها هو الكشف عن المجهول الذي نبحث عنه، من خلال المعلوم الذي نعرفه، والحق ان كل الحقائق غير البسيطة لا تتكشف لنا الا من خلال التحليل، ولذلك فان قاعدة التحليل التي يقصدها ديكارت تشبه الى حد كبير التحليل الرياضي عندما يستخدم لحل مسالة رياضية او حسابية ...بواسطة المبادئ والنظريات التي نعرفها. وفي علم الطبيعة إذا أردنا تحليل ظاهرة قوس قزح فنحن نفترض مجموعة من الأسباب، ثم نفحص كل سبب منا على حدة، حتى نصل الى الأسباب الحقيقية.

3 ـ قاعدة التأليف او التركيب:

---

[1] رونيه ديكارت: مقال عن الطريقة، المصدر السابق، ص 95.

[2] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة , 1983م، المرجع السابق، ص 40.

[3] مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، المرجع السابق، ص111

في هذه القاعدة يذكر ديكارت:" **أن أسير افكاري بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي اتدرج قليلا حتى أصل الى معرفة أكثر تركيبا، بل وان افرض ترتيبا بين الأمور التي لا يسبق بعضها الاخر بالطبع** "[1]. كان التحليل عند ديكارت تمهيد للقاعدة التي نحن بصدد شرحها، حيث انه يجب علينا ان نرتب افكارنا أولا فنبدأ بالأبسط ثم نتدرج قليلا حتى نصل الى معرفة اكثرها تعقيدا وعليه فان عملية ترتيب الأفكار والقضايا هي عملية بالغة الأهمية عند ديكارت فهي تسير وفقا لضرورة عقلية لا وفقا لهوى الأشخاص ومن الخطأ تخطي هذه الخطوة ومثال ذلك التسلسلات الجبرية التي تبدأ بالواحد أي بالوحدة البسيطة ' ثم تتدرج بعد هذه السلسلة الاعداد , وكل الاعداد مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا وثيقا وعليه فالتأليف هو عبارة عن عملية ترتيب تصاعدي من الابسط الى المركب وهنا يتوضح تأثر فيلسوفنا بالرياضيات في بناء فلسفته .

4 ـ قاعدة الاستقراء التام أو الإحصاء الشامل:statistics

الإحصاء هو: علم يبحث في الحصول على قيم معينة لتمثيل الاتجاهات التي تشير اليها ...وهي القاعدة الرابعة من قواعد المنهج عند ديكارت التي توصينا بإحصاء دقيق، انما تدعونا الى تجنب الوقوع في مغالطات الإحصاء الناقص وذلك بان نستوثق من اننا لم نغفل أي جزء من أجزاء المشكلة عن سهو او خطا، وفي هذه القاعدة يقول ديكارت يقول:" **ان اعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمرجعيات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أنى لم أغفل شيئا.**"[2]. أي إعادة تتبع ما تلقيته لتفادي المغالطات والأخطاء، وكذا التأكد من انني لم أنسى أي عنصر من العناصر السابقة.

ـ اذن هذه هي القواعد التي ذكرها ديكارت في منهجه والتي أراد بها تكوين منهج للفلسفة والعلم، وأهم ما يميزه هو انه منهج عقلي بحت، يبدأ بتعليق الحكم على الأشياء ريثما نتبين حقائقها وأن يمضي الانسان في هذا الشك إلى أبعد الحدود بادئا النظر كله من جديد وكان عينيه تتفتحان لأول مرة على العالم من حوله وهو لا يفرض قيودا على العقل بل يجعله حرا مستقلا ينطلق وراء الحقيقة ولا يقبل منها شيئا الا بعد فحص عقلي يبدا بالشك وينتهي اليقين ولا يستثني الا ما بدأ أمام العقل واضحا وجليا لا ينتابه شك، يقول ديكارت: " اذا اردنا ان نفرغ لدراسة الفلسفة دراسة جدية وللبحث عن جميع الحقائق التي في مقدورنا معرفتها وجب علينا ان نتخلص أولا من احكامنا السابقة، وأن نحرص على طرح جميع الآراء التي سلمنا بها من قبل وذلك ريثما تتكشف لنا صحتها بعد إعادة النظر فيها وينبغي أيضا ان نراجع ما بأذهاننا من تصورات وأن لا نصدق منها الا التصورات التي ندركها في وضوح وتميز".

وبالتالي نستنتج من هذا محتوى هذا الفصل والذي يرتكز حول الأسس والقواعد التي وضعها ديكارت في منهجه الشكي، كونها اهم عنصر بما أنّها بمثابة مركز العملية الشكية الديكارتية،

---

[1] رونيه ديكارت: مقال عن الطريقة، المرجع السابق، ص 111.

[2] رونيه ديكارت، مقال عن الطريقة، المرجع السابق، ص 97-98.

نقول بأنّ ديكارت قد نجح في وضعه مجموعة من القواعد والتي كانت تهدف الى حسن قيادة العقل، والسير به نحو حقائق يقينية لا غبار عليها. فالأسس والقواعد هي اهم ما يميّز المنهج الديكارتي بما انّها هي الركيزة التي يستند عليها.

الفصل الثالث

المنهج الشكي الديكارتي بين التأييد والرف.

المبحث الأول: المؤيديين للمنهج الديكارتي.

المطلب الأول: باروخ سبينوزا.

المطلب الثاني: نيكولا مالبرانش.

المبحث الثاني: المعارضين للمنهج الديكارتي.

المطلب الأول: ادموند هوسرل

المطلب الثاني: جون بول سارتر.

تمهيد:

إن عمل ديكارت المتمثل في فلسفته القائمة على المنهج الذي أتى به وهو المنهج الشكي كان له التأثير الهائل في جميع انحاء أوروبا الغربية حتى اليوم غالبا ما يتم أخذ تأملاته كنقطة انطلاق للفلسفة الحديثة ، ويمكن رسم خريطة المفكرين العظماء في القرنيين السابع والثامن عشر أمثال : جون لوك، ليبتز، ايمانويل كانط وغيرهم على أساس ردود افعالهم على نظام ديكارت , لان أفكاره الهمت فكر هؤلاء الفلاسفة على غرار غيرهم من المفكرين الذين كرسوا انفسهم لفهم فلسفته والدفاع عنها أمثال : نيكولا مالبرانش، باروخ سبينوزا وغيرهم من الفلاسفة هذا ما سنتناوله في فصلنا الأخير من المذكرة .

المبحث الأول: المؤيدين للمنهج الديكارتي.

بما أنّ الفلسفة قائمة على النقد الذي يعتبر جوهرها الأساس، هذا النقد وجب ان يكون ذو طابع إيجابي، هذا ما دفعنا ان نتناول في بداية المبحث الفلاسفة الذين اعجبهم ما اتى به اب الفلسفة الحديثة رونيه ديكارت فاخذوا في معالجة نصوصه وكذا بناء فكرهم اعتمادا على ذلك ومن بين هؤلاء المفكرين اخترنا اثنان على سبيل الشرح وليس الحصر ال وهما مالبرانش وسبينوزا، فيا ترى كيف يظهر تأثر هذين الفيلسوفين بالفيلسوف ديكارت انطلاقا من فلسفتهما؟

اولا- أ - باروخ سبينوزا 1632-1677:

فيلسوف هولندي من اهم فلاسفة القرن السابع عشر، ولد في أمستردام وتوفي في لاهاي، في مطلع شبابه كان موافقا مع فلسفة ديكارت في نقاط عدة، امتاز سبينوزا باستقامة أخلاقه، خط لنفسه نهجا فلسفيا يعتبر ان الخير الاسمي يكون في فرح المعرفة أي في اتحاد الروح بالطبيعة الكاملة كانت تربيته أرثودوكسية، ولكن طبيعته الناقدة والمتعطشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية والتلمود في يشيفا مدرسة يهودية، نبذ من اهله ومن الجالية اليهودية بسبب ادعاءه أن الله لا يكمن في الطبيعة والكون في عام 1660-1663 أسس حلقة مع اصدقاءه وبدا في كتابة نصوصه الأولى.

ب ـ أهم مؤلفاته:

ألّف سبينوزا عددا صغيرا من المؤلفات، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها أحدثت تأثيرا واسعا في الفكر الفلسفي اللاحق وسنعرض أهم هاته المؤلفات فيما يلي:

-مبادئ الفلسفة الديكارتية

-رسالة في اللاهوت والسياسة 1670: عبارة عن بحث نقدي في العلاقة بين الدين والسياسة والمؤسسة الدينية والدولة ويتناول فيه قضية العلاقة بين العقل والايمان والسلطة الدينية والسلطة السياسية وفيه يثبت ان التفلسف ليس خطرا على الدولة او على الايمان وان الحرية الفكرية والدينية ضرورية في دولة ديموقراطية حديثة، لم يضع اسمه على الغلاف عند نشره.

- رسالة في السياسة 1676: كان آخر مؤلفاته ونشر بعد وفاته، فيه يضع نظريته في الحقوق الطبيعية والمدنية ويوضح افضلية النظام الديموقراطي والجمهوري، ويتناول فيه أنواع الحكومات المختلفة من ارستقراطية وملكية وديموقراطية.

-كتاب الاخلاق 1677: من أشهر كتبه، يلخص فيه جل فلسفته

أراد سبينوزا تطبيق المنهج الديكارتي على المجالات التي لم يتمكن ديكارت من التطرق اليها وهنا يمكن القول بانه جريء الى حد ما على اب الفلسفة الحديثة في تطبيقه للمنهج، ومن بين المجالات التي عالجها نذكر الدين والسياسة هذين المجالين استصعب على ديكارت الولوج لدراستهما واسقاط منهجه الشكي عليهما، ما دفع بسبينوزا الى دراستهما وكما يقال ان التلميذ دائما يتفوق على استاذه، فلم يخطئ من قال

ان سبينوزا هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع ان يطبق المنهج الديكارتي تطبيقا حدريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه "[1]. وبهذا نقول ان فلسفته كانت بمثابة ثورة حقيقية تجاه الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك خاصة الدولة باعتبارها السلطان الذي

[1] باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترظك حسن منفي، دار التنوير، بيروت , 2005م، ص9.

يسيطر على الشعوب أي الدين الذي عبر عن الارادة الالاهية. فاذا ان قاعدة البداهة والوضوح هي نقطة الاتصال بين الفيلسوفين.

-استبعد ديكارت منهجه على الجانب الديني لأنه طبق عليه مبدا البداهة و الوضوح حيث انها حقائق ربانية تتجاوز العقل على خلاف سبينوزا الذي قال في كتابه رسالة في اللاهوت :" **إن الايمان بالحقائق الدينية ليس فعلا للعقل بل فعل للإرادة لذلك لا يطبق عليه مقاييس الوضوح و التمييز اكثر من ذلك ان كل الحقائق الدينية تتعدى حدود الفعل , ولا يمكن للإنسان التصديق الا بمعونة من السماء وبفضل من الله أي ان ديكارت يبدو هنا هادما للعقل ومعطلا لوظائفه في فهم الحقائق الدينية** "[1]، وعليه فان سبينوزا قد قام بالتمييز بين الآيات الواضحة من الغامضة وهذا عن طريق اعتماده على المنهج الديكارتي

-وفي نقطة أخرى يمكن لنا ان نبرهن على الاتصال بين الفيلسوفين وهي ان الله هو مصدر الحقيقي والأول للحقيقة وان ذاته اللامتناهية لا تحتاج الى أي برهان عقلي ولا تفسير كونها قضية واضحة وبديهية وهنا قيل:" **أراد سبينوزا البحث عن الوضوح والتمييز في الواقع الديني والسياسي، والا يقل شيئا على انه حق في أمور الدين او الدنيا ما لم يكن كذلك** "[2].

- إذا وبعد ان كشفنا مصدر الالتقاء بين الفيلسوفين ال وهو نقطة المنهج وخاصة في نقطة البداهة والوضوع اول قاعدة من قواعد المنهج الديكارتي، يمكن لنا الحديث عن منهج سبينوزا وتبيين علاقته بالمنهج الديكارتي وهو كالتالي:

ج ـ المنهج عند سبينوزا:

انّ المنهج عند سبينوزا يقوم على اربعة خطوات وهذا هو الحال في المنهج الشكي الديكارتي من خلالها قام بتأسيس نظرية المعرفة لديه وهذا عنما قال:" **وبعد امعان النظر، رأيت من الأفضل أن أختصر هذه الضروب في أربعة** "[3].

هذه القواعد الأربعة هي كالتالي:

ـالقاعدة الأولى: في هذه القاعدة يقول سبينوزا: "**يوجد إدراك مكتسب بالسماع او بواسطة علامة اصطلاحية تواضعية**"[4]. في هذه النقطة ذكر ما يعرف بالإدراك بالسماع، هذه المعرفة الحسية القائمة على حاسةالسمع هي المعرفة الأولية التي تصل الى أي فرد وهي مبدا تشكل المعارف كونها المنطلق الأساسي لبلوغ معارف لا يمكن التشيك فيها وهنا يكون سبينوزا قد عبر عن الفلسفة والمنهج الديكارتي بوضوح هذا لاتفاقه معه في نقطة انطلاق تشكيل المعرفة

[1] باروخ سبينوزا: المصدر نفسه، ص9.

[2] باروخ سبينوزا: المصدر نفسه، ص 9 ـ ص 10.

[3] باروخ سبينوزا: رسالة في اصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، 1990، ص31.

[4] باروخ سبينوزا: المصدر نفسه، ص32.

وهي المبدأ الذي يتفق فيه جميع الافراد ال وهو الحواس، وعليه فان المبدأ الأول للمنهج السبينوزا يتمثل في نقطة الاتفاق بين العامة من الناس كونهم يجتمعون على يقينها ولا مجال للاختلاف فيها فالإنسان يعيش وسط مجتمع يتعايش الافراد فيما بينهم ويتم هذا التعايش عن طريق الحواس فليس بمقدور الفرد أن يعيش بمعزل عن الغير لأنه يتقاسم معهم العادات والتقاليد والأعراف والثقافات أي ان الجماعة هي أساس الحياة ومن كل الحواس التي يمتاز بها الانسان من نظر وشم وذوق اختار سبينوزا حاسة واحدة ركز على أهميتها في هذه القاعدة كما اشرنا سابقا في المقولة وهي حاسة السمع هذه الأخيرة تساهم وبشكل كبير في توصيل المعلومات للمتلقي فمثلا قولنا: "زيد ولد في شهر أفريل وابواه عمر وعائشة ترعرع في مدينة الجزائر ...الخ من المعطيات التي عندما يتلقاها زيد سيتلقاها عن طريق حاسة السمع وما من شك فيها كونه يعيش وسط ذلك المجتمع مع تلك الاسرة وهنا تكمن عملية التواصل والتكيف مع الاخرين , وفي هذا الصدد يقول سبينوزا :"**انا اعرف بالسماع يوم ميلادي، وان أناسا معنيين هم ابواي، وما شابه ذلك من الأمور التي لا شك فيها على الاطلاق** "[1]. إذا هذا هو المستوى الأول من المنهج السبينوزي.

ـالقاعدة الثانية: في هذه القاعدة اخذ محتواها من القاعدة الثانية لديكارت وهي قاعدة التحليل. وفيها أكد على دور التجربة في تكوين الأفكار لدينا أي ان الانسان كما ذكرنا يمتاز بالاجتماعية أي انه عنصر فعال في المجتمع يؤثر فيه ويتأثر منه يأخذ كل فرد معرفة من غيره من الافراد، فمثلا نظرت الماكث بالبيت دون عمل للشخص العامل وكيفية استغلاله للوقت هي مهمة لتكوين فكرة الجد والاجتهاد لكسب القوت أي ان التجارب اليومية للبشر هي عنصر مهم لتكوين المعارف وفي هذه القاعدة يقول سبينوزا:" **يوجد ادراك مكتسب بالتجربة المبهمة ، يعني بالتجربة لا يحددها العقل ، وهي تدعى كذلك لأنها حدثت اتفاقا فلم تكذبها أي تجربة فبقيت راسخة** فينا "[2]. عندما نقرا هذه المقولة نستحضر مرض خطير عافانا الله وإياكم وهو مرض السرطان الذي عندما يصاب به المرء ندرك أنه ميت لا محال رغم التطور العلمي والطبي الا ان مجرد ذرك هذا المرض نستحضر الموت تلقائيا وهذا سببه موت العديد من الأشخاص عن طريق مرضهم به وهذا ما رسخ في اذهاننا ان السرطان هو الموت وهنا تكون للتجربة اليومية الدور الأساس في تكوين المعارف لدى الفرد هذا المستوى من المنهج قام سبينوزا بالتطرق اليه بالتفصيل في كتابه "رسالة في اصلاح العقل " ، وعليه فان الانسان هو كائن اجتماعي يتلقى جملة الأفكار سواء أفكار بسيطة وواضحة او أفكار غامضة تحتاج الى تفسير، هذا لتحقيق التكيف و تأسيس المعارف وبلوغ اليقين لأن التجارب اليومية لها الدور الأساسي، وهنا يقول سبينوزا :" **ادراك لمعرفة التي يكون لدينا**

[1] فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز، تر: سعيد توفيق، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط1، 2013، ص 315.

[2] باروخ سبينوزا: المصدر نفسه، ص 32.

من التجربة الغامضة أو المختلطة بالتجربة الغامضة أعرف إني سأموت وانا أؤكد ذلك لأني شاهدت أمثالي من الناس يموتون ، رغم انهم لم يعيشوا نفس الفترة من الزمن، ولا يموتون بنفس المرض"[1] وهنا استعان بقاعدة التحليل الديكارتية و التي بدورها كانت مستوحاة من التحليل الرياضي ليؤكد لنا تأثره بالمنهج الرياضي مثله مثل رونيه ديكارت وقام بالبرهنة عن طريق مثال جد واضح لدور التجربة اليومية في تأسيس المعرفة وهي ظاهرة الموت والتي تمس الكبر والصغير من البشر فهي نهاية كل كائن على وجه الأرض .

ـ القاعدة الثالثة : هذه المرحلة اكد على أهميتها كثرا، نجد فيها توافقا كبيرا بينها وبين فكرة ديكارت ، تتمثل هذه الأخيرة حسب قوله :وجد ادراك تستنبط فيه ماهية بعض الأشياء من أشياء أخرى، إلا أن ذلك لا يتم بصورة مطابقة مثلما يحدث عندما نستنبط من المعلول علته، أو عندما نخرج بنتيجة انطلاقا من بعض الكليات المصحوبة دوما ببعض الخصائص، اذا هذه القاعدة تتكلم على الاستنباط واهيته في عملية المعرفة والاستنباط هو استخراج علة مجهولة من علة معلومة ،أي استخراج أمر من أمر آخر وعليه تأثر سبينوزا بديكارت ومنهجه كما سبق وذكرنا، فقد اكد كل من الفيلسوفين على أن الإدراك قائم على استنباط قضية من قضية أخرى حتى وان لم يكون هنالك توافق بينهما ودون ان يكون هنالك رابط ضروري يجمعهما وهذا ما ذكره رونيه ديكارت في قاعدة التركيب، ومثال ذلك : الحرارة تذيب الجليد، الماء بالغليان يصبح بخارا البرودة العالية تجمد الماء ...الخ أي استنباط علة من علة أخرى .

ـ القاعدة الرابعة: في هذه القاعدة يقول سبينوزا يوجد أخيرا إدراك للشيء بماهيته وحدها ومن خلال معرفة علته القريبة وهنا أكد على أن الإدراك القائم على المعرفة الماهوية للشيء في حد ذاته

أي يستبعد هنا تدخل العناصر الخارجية في ذلك أي ما يعبر عن الشيء هو علله وأسبابه هنا توضح لنا تأثر سبينوزا بالرياضيات وكذلك يستحضر لنا القاعدة الرابعة من المنهج الديكارتي وهي قاعدة الإحصاء

ثانيا: نيكولا مالبرانش 1715 -1638:

ينتمي مالبرانش الى جمعية الأوراتورا وهو كاهن وفيلسوف عقلاني فرنسي، عضو في الاكاديمية الفرنسية للعلوم، سعى في اعماله الى تجميع فكر القديس اوغسطين ورونيه ديكارت. من اجل اظهار الدور الفعال لله في كل جانب من جوانب العالم. يشتهر مالبرانش بمذاهبه وهي الرؤية في الله، السببية والانطولوجيا.

[1] باروخ سبينوزا: المصدر نفسه، ص32.

المعروف عن مالبرانش **أنه قد استقى بدايات فلسفته ولاهوته من ديكارت وأوغسطين، فضل فكره ديكارتيا واوغسطينيا[1]**، وعليه فانه كان من اشد المعجبين بالفيلسوف الفرنسي ديكارت حيث انه أعجب بكتابه "الانسان" وهو في السن السادسة والعشرين واثار نظره المنهج الذي اتى به ومذهبه القائم على وجود الله وروحانية النفس وخلودها، ووجد أيضا في فكره انه يتفق مع الدين وهذا ما بعث في قلبه الفرح والطمأنينة. اتفق معه في فكرة اننا نرى كل شيء في الله واعتماده على الموازنة النفسية الجسدية.

توفي مابرانش تاركا وراءه مجموعة من النظريات التي فتحت تساؤلات كثيرة حول فاعلية الانسان في الطبيعة.

من أهم مؤلفاته نذكر:

اول كتبه: البحث عن الحقيقة 1674-1675 وقد ظل أشهرها، وأعقبه بالأحاديث المسيحية وهو ملخص مذهبه، ثم نشر على التوالي تأملات قصيرة في التواضع والتوبة سنة 1677

سنتناول في هذا العنصر نظرية المعرفة والمنهج عند مالبرانش للإيضاح تأثره برونيه ديكارت.

1- نظرية المعرفة عند مالبرانش:

يعد مابرانش فيلسوفا نظريا و أخلاقيا، وتتعلق نظريته في المعرفة في ان تصوراتنا هي تصورات الله ذاته , فالتصورات المفهومة الموجودة في الكلمة يوجد بينها نوعان من العلاقات وهما علاقات عظمة وعلاقات كمال .

كان مالبرانش من اهم المتأثرين بالفيلسوف الفرنسي ديكارت، هذا ما جعله يلقب بالديكارتي كما أشرنا سابقا، ويظهر هذا التأثر بعد ان قرا مذهبه كاملا وبدا في المشي على خطاه بادئا برفضه للفكر المدرسيورافعا لشعار الحرية الفكرية.

إضافة الى هذا نحده يرد الحقيقة الى الله كمصدر اول للوجود فهو وحده من ترجع اليه جل الحقائق وخذه الفكرة هي ذاتها فكرة ديكارت الذي قال بان الفكرة الكاملة والمطلقة موجودة فقط في الذات الالاهية وهنا يقول مالبرانش :**"ما من شيء اذا تأملناه كما ينبغي الا ردنا الى الله "[2]**، وعليه اذا راينا في كل شيء في الله بمعنى انه يضع الأفكار في اذهاننا بالتالي ليس لدينا معرفة مباشرة حول العالم الخارجي، يمكننا ان نطلب الأفكار الواضحة و المميزة كمعيار لتأكيد الاحكام حول الأشياء المادية، ولكن الله هو المسؤول في النهاية عن افكارنا .

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة والنصوص، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية , 1987م، ص37

[2] يوسف كرم: المرجع نفسه، ص 98.

يرى مالبرانش ان مصدر المعرفة هو العقل وما من شيء غير العقل وهذه هي وجهة نظر ديكارت، ودليله على ذلك ان العقل صفة موجودة ومتحدة بالله وبما انها كذلك فلا ينتابها الشك وافكارها ومعطياتها يقينية وثابتة، وعليه م فما صرح به العقل على انه حقيقة فهة كذلك كونه مرتبط بالذات الإلهية وهنا يقول:**" ان كل شيء في الله "**[1]. إذا نقول حسب مالبرانش ان مصدر الحقائق والمعارف هو الله وهذا ما ذهب اليه رونيه ديكارت.

قال مالبرانش:**" ان أخطاء الحواس والخيال، بانها من طبيعة البدن وتكوينه، واكتشفها النظر في اعتماد النفس على الجسم "**[2]. وبما أن مالبرانش نادى بان العقل هو مصدر المعرفة فهذا يعني رفضه ان تكون الحواس هي مصدرا لها كونها تعطينا معارف خاطئة ولا أساس لها من الدقة، وهذه هي النقطة الأخرى التي يشترك فيها مع ديكارت الذي قال بانه لابد من عدم الاخذ بالمعطيات الحسية لأنها عاجزة وقاصرة عن بلوغ اليقين، وأضاف عليه مالبرانش ان دورها يكمن فقط في كونها الرابط بين الانسان والعالم الخارجي.

في نقطة أخرى يمكن لنا ان نتوقف عندها كونها تعتبر نقطة التقاء بين الفيلسوفين ال وهي ما يصطلح عليه بالثنائية الديكارتية هذه الأخيرة هي عبارة عن مذهب فكري يقسم كل شيء بطريقة او بأخرى الى مقولتين أو عنصرين، هذا المصطلح ادخل منذ حوالي 1700م ليستوعب الأفكار اللاهوتية، ويعبر عن تقسيم ديكارت العالم الى جوهر ممتد وهو المادة وجواهر مفكرة وهي العقول ويسمى هذا النوع من الثنائيات ثنائية الصفات. هذه النقطة اخذ بها مالبرانش في تأسيس فلسفته وقام بدعمها متبنيا فكرة انه ليمكن ان تؤثر احداهما على الأخرى بطريقة مباشرة أي الروح والمادة.

وعليه نقول بان مالبرانش يستحق لقب الديكارتي كونه أخذ بأفكاره وساهم في تأسيس فلسفته اعتمادا عليها وبعد تطرقنا لنظرية المعرفة لديه سنشرع في تقديم العنصر الاخر وهو المنهج عند مالبرانش فيا ترى فيما يتمثل المنهج عنده وما عي أهم ركائزه؟

2- المنهج عند مالبرانش:

اعتمد هذا الأخير أيضا على جملة من القواعد التي إذا ما اخذنا بها توصلنا الى اليقين وهذا هو نفسه ما اتى به ديكارت في قواعد المنهج التي تم عرضها في الفضل السابق، أي ان مالبرانش تأثر بالقواعد التي ذكرها ديكارت وأتى لنا هو الاخر بالقواعد التي تخص منهجه وهي كالتالي:

القاعدة الأولى : هاته القاعدة تتفق الى حد بعيد مع قاعدة البداهة والوضوح الديكارتية حيث انه اكد على ضرورة الانطلاق من الأمور البديهية الواضحة التي لا تحتاج الى برهان أو

[1] زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص125.

[2] فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز، ص 259.

تفسير وعليه رفض الانطلاق من المعطيات الغامضة وهذا هو الحال مع ديكارت في قاعدة البداهة و الوضوح **وهذه القاعدة العامة الأساسية هي انه ينبغي الا نحكم العقل الا في تلك المسائل التي يكون لدينا عنها أفكار واضحة، وينبغي باستمرار أن نبدأ بالأشياء الأكثر بساطة وسهولة** [1]، وبالتالي يظهر جليا لنا مدى التوافق بين مالبرانش واستاذه رونيه ديكارت

القاعدة الثانية: هي الأخرى كانت نتاج لمنهج ديكارت وفيها أكد مالبرانش على ضرورة الانتقال من الأمور البسيطة الى المعقدة ثم الى الأكثر تعقيدا وعليه رفض فكر كل من قال بوجوب الانتقال من المعقد الى البسيط وهنا يقول:**" يجب علينا ان نبدأ كما فعل السيد ديكارت بالعلاقات الأكثر بساطة، وننتقل مما هو أساسي الى ما هو أكثر تعقيدا "**[2]. وبعد ذلك تتم عملية تركيب الأجزاء البسيطة الواضحة، وهنا نتأكد بان مالبرانش فعلا جسد الفلسفة الديكارتية في فلسفته وكان وفيا لما اتى به اب الفلسفة الحديثة، وكان لقراءته لهذا الفيلسوف العظيم أهمية الكبيرة في بلورت فكره، ومما سبق يظهر لنا تأثره بالرياضيات هو الاخر مثله مثل ديكارت وهذا في قاعدتي التحليل والوضوح. وعليه فان مابرانش هو المجسد الحقيقي للفكر الديكارتي.

وبعد عرضنا لأول فيلسوف مناصر للفكر الديكارتي، سنشرع بعده الى تقديم الفيلسوف الثاني والذي لا يقل أهمية على سابقه في تجسيده للفلسفة الديكارتية بامتياز وهو باروخ سبينوزا ولكن قبل ذلك نطرح التساؤل التالي: كيف كان تأثير المنهج الديكارتي على فلسفة سبينوزا؟

[1] فريديريك كوبلستون: المرجع نفسه، ص 261.

[2] فريديريك كوبلستون: المرجع نفسه، ص 260.

المبحث الثاني: المعارضين للمنهج الديكارتي.

بما اننا تطرقنا في المبحث الأول الى عرض أهم المؤيديين للمنهج الديكارتي ولما كان لهم من حجج تبرز دوره في المعرفة وهذا ما جعل جملة من الفلاسفة يعتمدون عليه لتكوين فلسفتهم وكان مثالنا على ذلك مالبرانش و باروخ سبينوزا هذين الفيلسوفين الين كان لفلسفتهما النظرة والتوجه الديكارتي الى حد معين وهذا ما تجلى في افكارهما ومؤلفاتهما وكأي تيار فلسفي عبر التاريخ لابد من أن يتم نقده بالتأييد وبالرفض وهذا هو طابع الفلسفة النقدي وبما اننا تناولنا الشق المؤيد، سنذهب الى الشق المعارض لنعرض ابرز القائلين به وما ذكروه من حجج تثبت صحة طرحهم واخترنا رائدين لهذا الاتجاه وهما الفيلسوفين ادموند هوسرل و جون بول سارتر فيا ترى ما كان موقفهم من الفلسفة الديكارتية وكيف ظهر هذا في فلسفتهم؟

ادموند هوسرل 1859-1938:

فيلسوف الماني ومؤسس الظاهريات، ولد في موراويا في تشيكوسلوفاكيا، درس الرياضيات في لا ييزغ 1876 وبرلين 1878على يد كارل وايستراس ولوبولد كرونكر. ثم ذهب الى فيينا للدراسة تحت اشراف لوكونيكس بركر في عام 1881.كما درس الفلسفة على يد فرانتس برنتانو وكارل شتومف، أثر هوسرل على فلاسفة كثر من بينهم: ماكس شيلر. جون بول سارتر، الفرد شوتز وايمانويل ليفيناس فضلا على أثره الواضح على تلميذه مارتن هايدغر.

أهم مؤلفاته:

فلسفة علم الحساب 1891، بحوث منطقية 1900-1901، الفلسفة علما دقيقا 1911، أفكار: مقدمة عامة لفلسفة ظاهرية خالصة1929، تأملات ديكارتية 1932، أزمة العلوم الأوروبية والظاهريات المتعالية 1636، التجربة والحكم 1939.

الفينومينولوجيا الهوسرلية:

مفهوم الفينومينولوجيا " الظاهرتية ":

تتكون الفينومينولوجيا من مقطعين phenomen وتعني الظاهرة وlogy وتعني الدراسة العلمية لمجال ما وبذلك يكون معنى الكلمة العلم الذي يدرس ظواهر الوعي عرفها هوسرل بانها المنهج الدارس لظهور الماهيات في الوعي , ويقصد بالماهيات الحقائق الموضوعية للأشياء طالما كانت متميزة عن طابعها الحسي وعليه **"فالظواهرية هم المنسوبون الى القول بالظواهر, وهؤلاء فريقان : أحدهما ينكر الشيء في ذاته ويزعم انه ليس ثمة الا الظواهر، وان الظاهرة لا تفهم الا باعتبارها مركبة من ظواهر أخرى ، او داخلة في تركيب ظواهر أخرى، والأخر يسلم بوجود الشيء في ذاته ولكنه يزعم ان العقل لا يدرك مع ذلك سوى الظواهر "**[1].

ـ من خلال تعريفنا للظواهرية سنتطرق في العنصر التالي الى عرض المنهج الهوسرلي وخطواته وكذا الأسباب التي أدت الى ظهوره وخاصة ان هاته الأخيرة تتعلق بالثورة ضد الديكارتية.

ـ لقد انتهج هوسرل منهجا جديدا يتجاوز عن طريقه الهفوات التي كانت في المناهج والفلسفات السابقة له وخاصة في الفلسفة الديكارتية، فكانت الفلسفة الهوسرلية نتاج لردة الفعل التي كانت ضد التيار الديكارتي لما له من نقائص وهفوات، فنشأت الفينومينولوجيا كعلم يدرس الوعي كما سبق وذكرنا وخبرته بالأشياء وبذاته. وقد ركز هذا المنمهج على فكرة موضوع المعرفة كون ان المنهج عند ديكارت اغفل هذا الجانب مركزا على الذات العارفة على موضوع المعرفة وهذا ما جعل الحقائق غبر ثابتة ويقينية كما قال هوسرل في مؤلفه "فكرة الفينومينولجيا" حينما قال : **" ان المعرفة في ما هي عليه من الهيئات، معيشي نفسي، انها معرفة لذات عارفة تقوم قبالتها موضوعات معروفة "**[2] أي ان رونيه ديكارت قد تجاهل كما سبق وذكرنا العنصر المهم في المعرفة وهو موضوعها وصب تركيزه على الذات العارفة، وهذا ما يعاب على المنهج الديكارتي كون ان موضوع المعرفة هو الأساس و الجزء الأهم في العملية المعرفية، إضافة الى تقسيمه للمعرفة الى عنصرين كل عنصر على حدا، الذات العارفة من جهة ومن جهة أخرى الموضوع المعرفي، وهذا ما يرفضه هوسرل على حد قوله السابق، لان المعرفة تتكون من ثنائية منسجمة لا انفصال فيها وهي الذات و الموضوع معا، لان ذواتنا هي المستقبل للمنبهات الخارجية التي يزودنا بها الموضوع المعرفي، وعليه أراد هوسرل تأكيد فكرة انه لا مجال لتقسيم المعرفة الى جزأين، إذا ندرك هنا أن المعرفة لدى هوسرل تجمع بين الذات والموضوع معا ولا مجال للانفصال بينهما وهذا ما اغفله ديكارت، فالذات في نظر هوسرل دائما شغوفة للمعرفة و تهدف لبلوغ الحقيقة

[1] عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة موصولي، القاهرة، ط3، 2000م، ص 506

[2] ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر فتحي انقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2007م، ص52.

وبالمقابل لابد من موضوع في الواقع يحتاج الى تلك الدراسة و البحث , أي ان الذات تقصد دائما الى دراسة موضوع موجود حسيا في الواقع وهذا هو التجاوز الذي كان يقابل المنهج الديكارتي . وفي هذا الصدد قيل: **"تشكل الفينومينولوجيا نقطة انطلاق أولية لكلاهما معا من حيث انها محاولة جادة لإعادة الذات للموضوع، أو الشيء بالماهية، وإعادة ادماج هذه العلاقة ضمن سيرورة الشعور الزمكانية، بوصفها وعيا متناميا بحقيقة الانسان وسعيا دؤوبا لإدراك ماهيته "[1].**

خطوات المنهج الفينومينولوجي:

كان هوسرل كغيره من الفلاسفة يهدف الى بلوغ المعرفة اليقينية، وهذا عن طريق وضعه لمنهج معين إذا ما تتبعه الفرد ساعده ذلك على بلوغها، هذا المنهج يقوم على ثلاثة خطوات رئيسية وهي:

ـ الخطوة الأولى:

في هذه الخطوة سنلاحظ عند عرضنا إياها التقاء ديكارت وهوسرل في طريقة الانطلاق لتحصيل اليقين المعرفي وهي حالة الشك التي وجب ان يمارسها الباحث اثناء قيامه ببحثه، فالشك هو أساس اليقين، وعليه فالمنهج الهوسرلي والمنهج الديكارتي يتوافقان في القاعدة الأولى، ودليل ذلك قول هوسرل:

" ان الاعتبار الديكارتي للشك هو الذي يعطينا ها هنا بدءا: ان وجود الفكرcogitation (المعيش وفي وقت الذي نحن نعيشه ونتأمل أمره فقط هو وجود واثق اخذ حضوريا مباشرا وامتلاكه هو أصلا معرفة و الأفكار) cogitationes (هي المعطيات الأولى)[2].

وعليه نجد ان هوسرل وضع جملة المعطيات و المعارف الإنسانية في دائرة الشك للتأكد من صحتها وتفادي الوقوع في الخطأ بعد ذلك وبالتالي نؤكد ان كلا من الشكين الهوسرلي و الديكارتي هما شكان فعالان وبناءان هدفهما هو بلوغ اليقين الثابت والحقيقة المطلقة هذه المرحلة اطلق عليها هوسرل مصطلح الابوخية أو تعليق الحكم او الوضع بين قوسين هذه المرحلة حاول فيها هوسرل ان يتمكن من خلالها دراسة الوعي المعرفي وكيفية تكوينه للموضوعية فكان عليه ان يعزل الجوانب الحسية و التجريبية من المعرفة أي جانب المضمون المادي ليركز على شكل الفكر الذي هو فعل الوعي وتطلب ذلك منه ان يتوقف عن البحث في وجود الموضوعات كي يركز على النمط الذي تظهر به الموضوعات في الوعي . وبذلك استبعد الحكم حول وجود الأشياء و العلاقات الموضوعية بينها وهذا هو معنى تعليق الحكم المتضمن في مصطلح الابوخية و الذي يعني الانتظار و التوقف ومنه

[1] بول ريكور، بعد طول تأمل، تر فؤاد مليت، ط1، 2006، ص 13.

[2] ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر: فتحي انقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1, 2007م، ص52.

نؤكد ان هوسرل كان رافضا للأحكام المسبقة و المغالطات السائدة وكذا المعارف العامية التي لا أساس لها من الصحة واليقين لكن ما يتعارض فيه هوسرل مع ديكارت هي فكرة الكوجيطو لديكارتي " انا افكر اذا انا موجود " وهذا بقوله :" **ان الوعي هو الموجود العارف بما هو كائن لا بما هو معروف ... ولا شك في ان الوعي يمكن ان يعرف وان يعرف ذاته، لكنه في ذاته شيء اخر غير المعرفة العائدة على نفسها** "[1] أي تعدي المعرفة انطباق الفكرة مع نفسه لدى ديكارت الى انطباعها مع الموضوع الحسي أي مع الواقع الخارجي الذي يمكن دراسته تجريبيا وعليه اكد هوسرل على ضرورة الربط بين الوقائع الحسية الخارجية و الوقائع الشعورية فكلاهما يتلازم والأخر .

ـ الخطوة الثانية:

بعد عرضنا للخطوة الأولى من منهج هوسرل الفينومينولوجي، سنتناول في هذا العنصر الخطوة الثانية لديه والتي كان تسميتها بالرد الفينومينولوجي ـ الترانسندنتالي ـ والذي يقصد به هوسرل رد الوقائع الى الماهيات باعتبار ان الواقع عارضة ولا تتمتع بثبات ووضوح الماهيات وواقعيتها، اذ يحكم هوسرل على الوقائع بانها غير واقعية ومعياره للواقعية أن يكون الموضوع ممتعا بالكلية و الشمول و اللامشروطية وهذا ما يتوفر للماهيات، لأن الوقائع جزئية ومشروطة دائما ومن طبيعتها ان تكون ممثلة للكلي، أي الماهوي ولا يكون وجودها من ذاتها وقد عرفه هوسرل على أنه :" **رد مفهوم المحايثة الفعلية ، التي لم تعد تعني المحايثة الواقعية في الوقت نفسه، محايثة في وعي الانسان وفي الظاهرة الواقعية** "[2]، ومنه يتبين بان الرد الفينومينولوجي هو بمثابة عملية تقوم فيها الذات المدركة والمفكرة ببلوغ الحقيقة الموجودة في موضوع المعرفة , وبالتالي يكون هذا العنصر مهم جدا في المنهج الدي اتى به هوسرل كونه يقوم على عنصر أساسي وهو الحدس , أي حدس الذات لذاتها وللواقع الخارجي وهذه هي النقطة التي نقد فيها هوسرل ديكارت و عارضه فيها لتجاهله نقطة الرد الفينومينولوجي في منهجه الشكي فكما اوضحنا في القاعدة السابقة انه اهمل انطباق الفكر مع الواقع وركز على انطباقه مع نفسه وهذا ما يعاب عليه وعليه اكد ادموند هوسرل ان رونيه ديكارت قام بحصر منهجه حول المعرفة و الذات العارفة فقط واهمل موضوع المعرفة واكده بمقولته الشهيرة انا افكر اذا انا موجود , وهنا جاء هوسرل لرد العالم الخارجي محل دراسة ونظر ردا على الإهمال الذي كان له من قبل ديكارت , فكان هوسرل اقرب الى اليقين والمعرفة الصحيحة في هذا الوضع فكيف لذوات ان تفكر وتتأمل ان لم تكون هنالك مواضيع حسية واقعية تحتاج منها الى الفهم والتفسير ؟ وهنا قال هوسرل ناقدا لديكارت:" **ان الفكر الديكارتي بادئ الامر محتاج في الأصل الى الرد**

[1] جون بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان بدوي منشورات دار الادب، بيروت، ط1, 1966م، ص23.

[2] عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة ط3, 2000م، ص379.

الفينومينولوجي، ليست الظاهرة النفسية الموجودة في التصور .... انما فقط الظاهرة المحضة أي المردودة "[1] و الرد الفينومينولوجي يكون الى العالم قبل العلمي العالم السابق على التصنيفات العلمية التي تقسمه الى مجالات فيزيائية وبيولوجية وكيميائية والعالم قبل العلمي هو عالم الحياة المعاشة، أي العالم الذي تعيشه الذات وتفترضه في وعيها الخالص وهو يعد القبلي الحقيقي عند هوسرل، وهو كذلك المجال الذي يظهر فيه الفكر قبل الحملي أي المرحلة الفكرية الأولى التي يلحق فيها الوعي شيئا بمقولة وبفضل ذلك الرد يصل المرء الى امتلاك الوضع الترانسندنتالي للوجود، أي الوضع الذي يتعرف فيه الوعي على الموضوعات لأول مرة باعتبارها تنتمي لأنماط انكولوجية معينة .

وهنا يتضح الفرق بين الابوخية في القاعدة الأولى والرد الفينومينولوجي ـالترانسندنتالي ـ، الابوخية يهدف تجاوز العالم الطبيعي، عالم الخبرة الحسية والموقف الطبيعي للوعي، للوصول الى الوعي الخالص او الانا المطلق. وعليه " **الفينومينولوجيا حيث تكشف القصدية عن وعي موجه الى خارجه، ونازع نحو المعني قبل ان يصير وعيا لذاته في لحظة التأمل "**[2].

ـ الخطوة الثالثة:

في هذه المرحلة يكون فيها الباحث بصدد إعادة دراسة وتقصي للمبادئ السابقة، وهذا بهدف التحقق من صحة وصدق النتائج، أي ان هذه العملية بمثابة إحصاء و استقصاء للمراحل التي تم تناولها من قبل، وهنا يتسنى للباحث ان يعي ما تحصل عليه من معارف و يتجنب بدوره المغالطات ليحقق اليقين الثابت، في هذه المرحلة يقول هوسرل **:" يتعلق الامر الان يتقصى المعطيات خطوة بخطوة في كل تحويلاتها، ما كان منها اصليا وما كان زائفا، ما كان بسيطا وما كان مركبا ، ما تقوم منها مرة واحدة وما اتبنى منها درجة بحسب ماهيته، ما صدق منها بإطلاق وما كسب منها الانعطاء وتمام الصدق بتدرج لاحج له في سيرورة المعرفة "**[3].

جون بول سارتر1905-1980:

كاتب مسرحي وفيلسوف وناشط سياسي فرنسي، ولد في باريس، هو الابن الوحيد لوالده دان بابتيست سارتر الذي كان يعمل ضابطا في البحرية، والدته أن ـ ماري شوايتزر، خسر والده وهو طفل صغير، ما دفع بأمه للعودة الى منزل أهلها لتتمكن من تربية ولدها، عندما كان

[1] ادموند هوسرل، المصدر نفسه، ص36.

[2] بول ريكور: بعد طول تأمل، تر: فؤاد مليت ص84

[3] ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، المرجع نفسه، ص 43.

شابا بدا يهتم بالفلسفة بعد قراءته مقالة TIME AND FREE WILL لهنري برغسون، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من école normale superieure في باريس، استحوذت عليه أفكار كانط وهيقل وكيركيجور و هوسرل وهايدغر من بين باقي الفلاسفة، في عام 1929 عندما كان في الجامعة التقى ب سيمون دي بوفوار، وقد كانت طالة في جامعة السوربون وأصبحت فيما بعد فيلسوفة مشهورة وكاتبة تنادي بالمساواة بين الرجل والمرأة . أثر في بعض المجالات المعرفية مثل علم الاجتماع والدراسات الأدبية، كان شخصية بارزة في كل من الفلسفة الوجودية والفلسفة الظواهرية، وقد اعتبر واحدا من أبرز الشخصيات الفرنسية في القرن العشرين، حاز على جائزة نوبل في الادب وقام برفضها حيث قال في هذا الوضع بان الكاتب لا يجب ان يصبح مؤسسة.

أهم مؤلفاته:

الوجود والعدم 1944 ـ كتاب مختصر الوجودية مذهب انساني 1945 ـ نقد العقل الجدلي 1960 هذا في المجال الفلسفي. رواية الغثيان 1938 ـ الثلاثية طرق الحرية 1945 ـ الغرفة المغلقة 1944 ـ الذباب 1943 ـ هذا في المجال الادبي والمسرحي...الخ من الاعمال البارزة للفيلسوف سارتر

تعريف الوجودية:

تعتبر الفلسفة الوجودية من أهم الفلسفات الغربية المعاصرة التي تعنى بالاهتمام بالوجود الإنساني، فالإنسان هو الركيزة التي يستند عليها الوجود. وقد عرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي بأنها:**"الوجود مقابل للعدم وهو وجود بديهي لا تحتاج الى تعريف، الا من حيث انه مدلول للفظ دون الاخر "[1].**

نظرة سارتر للفلسفة الديكارتية:

يقول سارتر في كتابه الوجود والعدم :" **حقق الفكر الحديث تقدما هائلا برده الموجود الى سلسلة من الظواهر التي تكشف عنه "[2]** في هذه المقولة صرح بالتوجه الوجودي لفلسفته وفي مقولة أخرى وجهها خصيصا كنقد لديكارت في فكرة الذات العارفة و المدركة عن طريق العقل ' قائلا بأسبقية العالم الحسي و المعطيات الحسية , واكد على انها تحمل لصدق في طياتها، أي ان سارتر رفض فكرة العقل المدبر كمصدر للمعرفة وفي هذا الصدد يقول :" **نحن نرفض العبقرية على انها قوة خاصة ، لا نجد بعض الاعمال و لا القوة الذاتية على انتاجها : انما الاعمال منظور اليها على انها جماع تجليات الشخصي "[3]**، هذه النقطة

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي

[2] جون بول سارتر: الوجود والعدم، المرجع نفسه، ص 13.

[3] جون بول سارتر: المرجع نفسه، ص14-ص15.

الأولى التي عارض فيها سارتر ديكارت وكذلك نلمس نقدا اخر له في فكرة ثنائية الموضوع المعرفي و الذات العارفة فيردها ديكارت الة المتناهي و الا متناهي وديكارت يقول بانه يرجع الى الصراع من اجل الوجود داخل الذات وهنا يقول سارتر بنقص الكوجيطو الديكارتي كونه يعزل الفرد عن عالمه الخارجي ويبقيه في قوقعته مع نفسه وعليه الانا افكر عنده لا تحقق التكيف و الواقع المعاش، إضافة الى ذلك يؤكد على ان الذات البشرية في عملية الادراك تختلف فيما بينها فما ادركه انا ليس بالضرورة ما يدركه غيري وهذا ما يعاب على ديكارت

تقوم الفلسفة الوجودية على الإرادة الحرة، أي تمجد الحرية وتنادي بها، فهي العنصر الأساسي في النزعة الوجودية، فالحرية حسبه:" **الحرية الجوهرية، الحرية القصوى والنهائية التي لا يمكن انتزاعها من الانسان هي أن يقول: " لا " هذه الفرضية الأساسية في نظرة سارتر للحرية الإنسانية"**[1]، هذه النقطة تتعارض مع مبادئ ديكارت لإسناده الإرادة فقط للذات الإلهية وسلب هذا المفهوم على جميع الموجودات الأخرى. فقد ربطها بالعقل بالنسبة للإنسان وهذا عن طريق وضعه لمبادئ المنهج لديه، وما غير ذلك عنده فهو في إطار التقييد ولا سبيل للفرار وبلغ الحرية، وهذا هو العدم الذي رفضه سارتر، فالخطأ هنا على ديكارت عند حصره مجال حريته في التفكير، وقيده بمنهج وصرح بذلك. فالحرية بالمعنى الوجودي في فلسفة سارتر ترتبط بمفهوم الاختيار، كما ان سارتر لا يقصد بالحرية المعنى الميتافيزيقي لها، انما المقصود بها ان يمارس الفرد الاختيار لنفسه، يظهر البعد الاجتماعي لممارسة الفرد لحريته في الفلسفة الوجودية عند سارتر، فالفرد عندما يختار لنفسه يجب عليه ان يختار كأنما يختار للإنسانية كلها.

بالنسبة للكوجيطو يقول سارتر عليه: " **ان الكوجيطو ليس حاصلا في ذاته اطلاقا على ما يكفي لان يكون ذاتية مطلقة، انه يحيل أولا الى الشيء** "[2]، هذا يعني ان الانا اشك، أنا أفكر، إذا انا موجود، حسبه مقولة ناقصة وجب تعديلها وإضافة ما يجب اضافته عليها لتحقيق المعرفة اليقينية. وعليه نتأكد بان سارتر يريد بلوغ فكرة انه وجب لتكوين معرفة صحيحة ان نجمع بين الذات العارفة المتأملة والمدرك والعالم الواقعي الخارجي الحسي. ولا مجال للفصل بين هذا وذاك. وعليه فالحرية عنده هي ربط الفكر بالواقع فحسبه إذا اخترنا ان لا نختار فنحن بصدد اختيار، أي إن حتى عدم قبولنا لفكرة معينة او قبولها يعتبر اختيارا حرا منا، وهذا هو النقد الذي كان ضد الكوجيطو والديكارتية والمؤسس للوجودية. فالكوجيطو حسبه منغلق على نفسه وكذلك أخطأ في تأسيسه لأنطولوجيا خاطئة انحصرت على الذات واهملت الموضوع وهنا قيل:" **رفض سارتر هذا الانغلاق بان جعل الكوجيطو الديكارتي**

[1] سارتر: عاصفة على عصره، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الادب، بيروت، ط1, 1965م، ص24.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع نفسه، ص 68.

ينفتح على العالم فبعد ان كان الوعي عند ديكارت وعيا فحسب أصبح عند سارتر وعيا بالعالم "[1].

وعليه أكد هذا الفيلسوف على ضرورة وجود الواقع الخارجي لإتمام عملية المعرفة وما الغاء وجوده الى سبيل للمغالطات والأخطاء، وهنا يقول سارتر:" **إذا شئنا ان نتجنب التسلسل الى غير نهاية، فينبغي ان يكون الشعور رابطة مباشرة غير كوجيتية بين الذات والذات** "[2] وهذا يعني ان فكر ديكارت يقودنا للعدم، ووجب تصحيح ما ذكره والربط بين الذات والعالم المحسوس لتكوين العلم الصحيح. فحسبه الوجود الحقيقي هو الوجود الواقعي أي الشيء الموجود للعيان وما غير ذلك فهو خاطئ

إذا نستخلص في الأخير راي سارتر حول المنهج الديكارتي القائم على ارجاع الأمور الى الذات الواعية المدركة، وهذا ما رفض من قبل رواد الفلسفة الوجودية الذين صرحوا بدور العالم الخارجي الواقعي في عملية المعرفة. وان الانسان مشروع الوجود يحقق أهدافه انطلاقا من المعطيات التي قام بتسطيرها في البداية، وبالتالي وجوده يقاس بمدى تحقق تلك الأهداف على ارض الواقع ولتحقيق ذلك وجب حضور الشرط الأساسي الذي لا مجال لإهماله وهو الحرية لأنها هي الوحيدة التي تقود الانسان للنجاح وتحقيق طموحه. ومن هنا كانت الحرية لدى سارتر هي التي من خلالها يكون الانسان حرا في اختياره لأمر ما سواء بالقبول أو الرفض، فما من سلطة تستطيع اخضاع الفرد لسيطرتها على حد تعبير رواد الوجودية وأخص بالذكر سارتر.

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جون بول سارتر، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص 6.

[2] جون بول سارتر، المرجع نفسه، ص 25.

الخاتمة

الخاتمة:

في الأخير وبعد عرضنا لموضوع الشك في الفكر الغربي الحديث وبالتحديد في فلسفة الفرنسي رائد الفلسفة الحديثة رونيه ديكارت نستنتج عدة نتائج نحصرها في:

- انه كان لمنهج ديكارت الدور الفعال في تأسيس العديد من المناهج في العصر الحديث والمعاصر، فهو المبدأ الأساسي الذي دفع بجملة من الفلاسفة للتأمل و التدبر وكذا بناء فلسفتهم فالإبداع الديكارتي لم يسبق له ان وجد بهدأ الشكل منذ تأسيس الفلسفة كونها كانت في فوضى وغير منتظمة وليست بالمؤسسة أي انها لم تكون قائمة على منهاج يحدد ماهيتها الى ان تأسس المنهج لدى ديكارت فأعطي لها ثوبها الجديد واصلحت المعرفة غير التي كانت فالفيلسوف في العصور الماضية كان يطرح سؤاله حول ماذا يعرف ؟أي يبحث في الوجود وهذا ما يطلق عليه مبحث الوجود في الفلسفة وهو يتعلق بأصل الوجود وعلته، ثم تغير ذلك الى ان اصبح التساؤل حول كيفية المعرفة ويطرح سؤاله ب كيف نعرف أي تغيرت الفلسفة بين الماضي والحاضر من قضية البحث في الكيف الى البحث في الماهية.

وهذا ما استغله انصار الفلسفة الحديثة وابدعوا في فلسفتهم وكان ابرزهم كما اخذنا في موضوعنا ديكارت ومنهجه فكان له التأثير الواضح والجلي في فكر لاحقيه سواء في الفلسفة الحديثة او المعاصرة فاتت الفلسفة النقدية عن طريق جمعها بين فكر ديكارت و فرانسيس بيكون أي بين العقلانيين و التجريبيين واتت الفينومينولوجيا نتاجا لمنهجه الشكي وأيضا الوجودية وغيرها من الفلسفات التي تنادي بدور هذا المنهج في عملية التفكير وبناء معرفة وعليه يعتبر المنهج الديكارتي المؤثر الأول في بناء علم قائم بذاته وهو علم المناهج أو الميتودولوجي الذي يدرس في الجامعات اليوم .

-لابد من التأكيد أيضا من خلال عرضنا على ان المنهج اتى ليوصل الباحث والمتأمل الى الحقيقة أي اتباع قواعد معينة توصله الى اليقين الثابت والمطلق الصالح لأي زمان ومكان وهذا ما طمح ديكارت الى بلوغه وقد كان له الدور الفعال في التخلي على المنطق الارسطي العقيم الذي ساد طيلة قرون والذي قام بتجميد العقول وغرس التبعية وعدم التأمل والتدبر.

-أهمية الشك الديكارتي و الفلسفة الديكارتية ككل في الخروج من قيود الكنيسة ورجالها التي كانت على الرعية، وهذا اهم ما يثنى على ديكارت، فله الدور في ترك ما رسخه عصر الظلام في انفس الشعب من خضوع و خوف منها، وهذا هو السبب في انتشار الجهل آنذاك، فتغلغل في ذلك الوسط الطابع الديني والغي التأمل الفلسفي فجاء العديد من الفلاسفة الذين فشلوا في منافسة الكنيسة , ما دفع بهم الى الموت تحت يدها و كان الفضل لديكارت في انارة الطريق بمشكل الحرية وهذا عن طريق وقوفه ضد رجالها ووضعه لفلسفته العقلية المنادية باستقلالية التفكير وحرية التامل و التدبر في الخلق .

- وعليه يتضح لنا الدور الذي لعبه ديكارت في مجال الفلسفة والذي بسببه يدرس في المنهاج التربوي، وما من طور دراسي في مجال الفلسفة الا واستحضر العقلية الديكارتية فالمنهج بحد ذاته هو الركيزة الأساسية التي ترتكز عليها الفلسفة والشك هو من أهم هاته المناهج لما له من تأثير ودور في تأسيس الفلسفات التي أتت بعده.

-الأهداف التي طمح لبلوغها ديكارت عن طريق فلسفته ومنهجه على حسب ما استخلصناه من تحليلنا هي الوصول الى اعلى درجات البداهة والوضوح.

- نستنتج انه كان للفكر الديكارتي الدور الأهم في انتاج جملة من الفلسفات التي قامت بتأييده أمثال فلسفة مالبرانش و باروخ سبينوزا الفيلسوفان اللذان اخذا بفلسفة ديكارت و قاموا بالعمل عليها و كذا تجاوزها لدراسة المواضيع التي استصعب عليها دراستها و الولوج لها مثل المواضيع الدينية فكان لهم الحظ في ان يبدعوا عن طريق فطنتهم التي استندت على المنهج الشكي الديكارتي هذا الأخير عرف أيضا انتقادات ورفض من قبل فلاسفة اخرين لهم رايهم على ذلك أمثال جون بول سارتر ومعه رواد الفلسفة الوجودية وكذا ادموند هوسرل صاحب ورائد الفينومينولوجيا هذين الاخرين رفضا منهجه كونه اهمل الجانب الاخر كمن المعرفة وركز على جانب واحد وهو الذات الواعية والعاقلة والمدركة للأمور التي حولها وأهمل دور العالم الخارجي في عملية انتاج المعارف وهذا ما جعل للمنهج الديكارتي يوصف بالنقص والخطأ بالنسبة لهم .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: بالعربية:

أ ـ المصادر:

1-الغزالي، المنقذ من الضلال، مطبعة ومكتبة الجندي بمصر.

2-ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر فتحي انقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1, 2007م.

3-اوغسطين، مدينة الله، المجلد الثاني، ترجمة يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ,2002.

4-باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترظك حسن منفي، دار التنوير، بيروت , 2005م.

5-باروخ سبينوزا: رسالة في اصلاح العقل، تر: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس , 1990.

6-بول ريكور، بعد طول تامل، ترفؤاد مليت، ط1, 2006.

7-ترانتي وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية , 1986.

8-جان كلود فريس، القديس اوغسطين، ترجمة عفيف رزق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 1982

9-جون بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان بدوي منشورات دار الادب، بيروت، ط1, 1966م.

10-جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة توفيق الطويل واخرين، (3-360)، دار المعارف، القاهرة , 1961 م.

11-رونيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، تر: كمال الحاج، منشورات دويرات، بيروت ط 4 , 1988.

12-رونيه ديكارت: العالم او النور، اميل خوري، دار المنتخب العربي، بيروت، ط 1, 1999.

13-رونيه ديكارت: قواعد لهداية العقل، تر: سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس , 2001م.

14-رونيه ديكارت: مقال عن الطريقة، تر: محمود محمد الخضيري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة, 1968.

15فريديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز، تر: سعيد توفيق، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط1, 2013.

ثانيا: بالفرنسية:

Gerard; O'Daly; Augustine; s Philosophy of mind; Duck Worth; 16-London; 1987

ب ـ المراجع:

17-أبو عبد الرحمان بي عقيل الظاهري، لن تلحد

18-احمد السيد رمضان، الفلسفة الحديثة، مكتبة الايمان المنصورة.

19-إ براهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء الإسكندرية , 2001.

20-توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية , 1979.

21-سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الحديثة، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة, 1959.

22-شوقي عطى الله، عبد الله عبد الرزاق: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة.

23-شوقي الجمل: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ,2000م.

24-زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة , 1936.

25-عبد المنعم عباس: ديكارت او الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط، سنة 1990.

26-عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، د م، د ت، ط3 , 1982.

27-عبد المجيد عبد الرحيم، مدخل الى الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية 1976.

28-عبد العزيز سليمان نوار، محمود جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي النصر, 1999م.

29-عبد الوهاب جعفر، أضواء على الفلسفة الديكارتية، الفتح للطباعة والنشر، الإسكندرية , 2003.

30-قصة الفلسفة، ول ديورانت مكتبة المعارف ' بيروت , 1405هـ -1985م.

31-محمد عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية، منشورات البحر المتوسط، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثالثة 1983.

32-محي الدين عزوز، اللامعقول وفلسفة العزالى، الدار العربية للكتاب، تونس , 1981 دار المعارف ط الخامسة 1994م.

33-مصطفى النشار، نظرية العلم الارسطية، دار المعارف ط، الثانية 1995.

34-محمود زقزوق، تمهيد للفلسفة، دار المعارف، ط الخامسة , 1994 م.

35-مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط 1996.

36-نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والاحلاق عند ديكارت، المطبعة الفلسفية الحديثة، القاهرة , 2003م.

37-يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

38-يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، الحرية للنشر والتوزيع.

39-علي بن احمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى , 1416هـ /1996 م.

ج ـالموسوعات والمعاجم والمجلات:

*** الموسوعات:**

40-. زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1 ص189.

41-دليل أكسفورد: دليل أكسفورد، المكتب الوطني للبحث والنشر، تر: نجيب الحصادي، ليبيا.

42-فؤاد كامل واخرون: الموسوعة الفلسفة المختصرة، دار القلم، بيروت، ط1، ص 189-190.

43-الموسوعة الفلسفية العربية: معن زيادة، معهد الانماء العربي , 1987.

*** المعاجم:**

44-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة , 1983م.

45-أحمد المغربي معجم مقاييس اللغة المصباح المنير (167) ط: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ والمعجم الوسيط.

46-الجرجاني، التعريفات: تحقيق إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي.

47-جميل صليبا، المعجم الفلسفي 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت , 1982م.

48-عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة ط3, 2000.

*** المجلات:**

49-مجلة الحكمة، العدد الأول. السنة الأولى، شوال 1396 هـ، أكتوبر 1976 م، بحث بعنوان الفلسفة ومشكلة.

ملخص المذكرة:

تناولنا في هذه الدراسة موضوع الشك في الفكر الغربي المعاصر روني ديكارت أنموذجا , هذا الفيلسوف الذي أتى بمنهجه الجديد في حقل الفلسفة , المنهج الذي أثّر في الفلسفة الحديثة والمعاصرة , الشك المنهجي القائم على أسس وقواعد اذا ما تتبعها الفرد توصل الى اليقين الثابت , هذا الأخير ليس كالشك في العصور التي سبقت , أين كان الشك من أجل الشك وهذا ما

كان متمثلا في الفلسفة السوفسّطائية مثلا , ولا شكا ريّبيا وهادما كما في الفلسفة اللاأدرية عند بيرون وأتباعه , وكان لظهور هذا النوع من الشك أسباب وعوامل عديدة أهمها النهضة الأوروبية و التطّور العلمي وغيرها من العوامل التي أثّرت في ديكارت و كوّنت فكره , وقد كان لهذا النوع من التفكير الأثر البارز في الفلسفات التي لحقت به , سواء عن طريق القبول أو الرفض , فنشأت فلسفات قبلت به وأضافت ما كان له من نقائص مثل الفلسفة عند باروخ سبينوزا و نيكولا مالبرانش , و فلسفات رفضته وأنتجت كرد عليه فلسفة أخرى ذات منهج خاص بها مثل فلسفة هوسرل ومنهجة الفينومينولوجي وكذا فلسفة جون بول سارتر الوجودية . وقد بيّنا الفرق بين الشك عند ديكارت والشك عند باقي الفلاسفة الشكيين أمثال الغزّالي وفرانسيس بيكون ودافيد هيوم وغيرهم في تاريخ الفلسفة. كل هذه العناصر تم تحليلها في فصول الدراسة عن طريق انتهاجنا للمنهج التحليلي والتاريخي.

Note summary

In this study ; we dealt with the issue of skepticism in contemporary Arab thought ; by Ronnie Descartes ; the philosopher who brought his new method in the field of philosophy ; the method that influenced modernist and marginalist philosophy ; the systematic doubt based on foundation and principles ; for example ; and there is no doubt about it is important as in the philosophy of clubs held by peron and his followers ; and the emergence of this type of doubt had many reasons and factors ; the most important of which scientific development ; among the factors that were approved in Descartes and Colt ;and this type of thinikig had the prominent impact on the philosophies that sustained him ; whether through acceptance or rejection ; arose philosophies that acceptedhim and added what he had of his shortccomings ; such as the philosophy of

Bparok spinoza and Nicola Malpranch ;and philosophies and his case and produced in response to him other philosophy with its own approach such as husserl philosophy and systematic phenomenology as well as John Paul Sarter existential series. We have shown the difference between skepticism accordind to Descartes and skepticism the skin of the rest of the doubtful philosophers ; such as al ghazali : David Hume ; Fransis Bicon and others in the history of philosophy.